

د . محمد العبد

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة

" بحث فى النظرية "

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة
بحث في النظرية

الطبعة الأولى
القاهرة - ١٩٩٠

جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - باريس

القاهرة : ش هشام لبيب - رقم ٤٢/٢٥
مدينة نصر - المنطقة الثامنة

ت : ٢٦١٣٤٢٣

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة

بحث في النظرية

دكتور

محمد العبد



الإهداء

إلى زوجتى

وإلى أحبائى شريف وماجد ونوران ،

هم بهجة اليوم وأمل المستقبل .

الفهرس

مقدمـــة

مع التغيرات التى طرأت على نظرية علم اللغة الحديث فى العقود الثلاثة الأخيرة ، واكتشافه كثيرا من الظواهر والقضايا الجديدة ، صارت بعض الإشارات واللمحات الفكرية القديمة قضايا ومسائل كبرى تستوقف الباحث المدقق وتستمنحه فرصة جديدة للتحليل والتأصيل والتمييز بين أشكال لغوية ، تجاوزت الدراسات التقليدية ما بينها من تباينات وفروق . وقد كان من أهم التفريقات الاصطلاحية التى طورتها نظرية علم اللغة الحديث ، لا سيما فى حقل اللسانيات الاجتماعية ، تفرقتها - عند اختيار مجال البحث وعند التنويه إلى النتائج المستخلصة - بين شكلين كبيرين للغة هما : اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة .

ولا تنهض المقابلة بين هذين الشكلين على أساس التصورات والافتراضات ، وإنما تنهض على أساس التحقيق والإنجاز الفعلى للغة وما لها من طرق ووسائل تبليغية مختلفة.

ويهدف هذا البحث إلى الإلمام بنظرية اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة وتنظيمها وإمداد الباحث اللغوى بمفاتيح موضوعية ومنهجية وفكرية جديدة ، تعين على تجديد الفكر اللغوى العربى وتدقيق النظر فى نصوص العربية وتعميقه .

وإذا كان البحث الذى بين أيدينا هو أول محاولة علمية فى حقل الدراسات اللغوية العربية تطمح إلى الاكتمال والعمق والإفادة من المراجع الأصلية المتخصصة فى موضوعه، فإن صاحبه قد احتكم إلى درايته بما أنجز من أعمال لغوية فى تبرير التفاوت بين مباحث الكتاب الاثنى عشر تفاوتا كميا ، فلم أتوقف عند ما أراه غنيا عن مثل هذا التوقف ، باذلا الجهد ما استطعت فى عرض الأفكار والقضايا الجديدة وتفسيرها والتمثيل عليها ، اقترابا من الهدف الذى سعيت إلى تحقيقه .

وإن أكن قد وفقت ، فالتوفيق من الله وحده ، وإلا فحسبى أننى اجتهدت وحاولت إحسان العمل ، أملا فى بحوث أخرى تستكمل ما عرض له البحث بدراسات تطبيقية مسهبة على نصوص العربية وما تقدمه للبحث اللغوى العربى من نتائج جديدة .

المؤلف

المبحث الأول

اللغة المكتوبة و اللغة المنطوقة : نظرة تاريخية

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة

نظرة تاريخية

نظر النحاة التقليديون إلى اللغة المكتوبة باعتبارها أهم من اللغة المنطوقة ، بل لقد و صفوا اللغة المكتوبة ، وهم يريدون بها اللغة الأدبية ، بأنها أنقى وأصح من نظيرتها المنطوقة . و لأنهم نحاة ، فقد شغلوا ـ كما يقول ليونز ـ بالمحافظة على الصورة المكتوبة من الفساد(١) .

وحتى الخمسينات من هذا القرن كانت شكوى بعض اللغويين من إهمال البحث الحقيقى الجاد فى اللغة المنطوقة مازالت موجودة . يقول راند ولف كويرك Randolf Quirk : .

" بعد مرور مايقرب من ثلاثمائة سنة من العناية الأكاديمية المتصلة و النشيطة باللغة الإنجليزية ، مازلنا نفتقر إلى وصف للإنجليزية التى نتكلم بها ، باعتبارها مقابلة للإنجليزية التى نكتبها " (٢) .

والحق أن هذه الشكوى لم تكن تخص ـ آنذاك ـ اللغة الإنجليزية فحسب ، وإنما كانت تنسحب على اللغات الحية الآخرى دون استثناء تقريبا (و ننبه هنا إلى حاجة اللغة العربية حاجة ماسة إلى وصف علمى مفصل لصورتها المنطوقة) . و نحن نعنى ببحث اللغة المنطوقة هنا بحثها مقارنة بنظيرتها المكتوبة .

لقد ظل تقعيد اللغة وتحليل مستوياتها معتمدا على الشكل المكتوب ، باعتباره

---

(١) Lyons, John, Introduction to Theoritical Linguistics , Cambridge Uni . press (1968) p.42

(٢) Quirk, R., Colloquial English and Communication, in: Studies in Communication , London (1955) pp. 169 - 182, p.169

أساساً للقراءة والتكلم ، وباعتباره ـ كما تقول ما ريانه لوشمان Marianne Losch-mann ـ تخزينا لناتج عمليات الإرسال والاستقبال ، أو القول والتلقى [٣] .

وبالرغم من أن رائدا لغويا مثل فيرث Firth قد دعا اللغويين منذ أكثر من نصف قرن إلى دراسة المحادثة ، حيث إنها المفتاح إلى فهم أفضل لماهية اللغة ووظيفتها ، فإن الدراسة الجادة للخطاب المنطوق Spoken Discourse لم يسبق إليها اللغويون ، و إنما سبق إليها و نبه إلى أهميتها الاجتماعية علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا . و يفسر كالثارد M. Coulthard هذا الأمر بأن جميع علماء اللغة يتفقون على عملية الاتصال الإنسانى human Communication التى توصف فى حدود ثلاثة مستويات على الأقل هى : المعنى والصيغة والمادة (أو الخطاب والنحو والفونولوجيا) ، ولكنهم ـ فى الوقت نفسه ـ يختلفون فى حدود علم اللغة [٤] .

ويؤرخ العلماء للبداية الحقيقية لاكتشاف اللغة المنطوقة باعتبارها موضوعا من موضوعات علم اللغة ببداية الستينات من هذا القرن . فمنذ تلك الفترة انتشر البحث بين اللغويين فى اللغة المنطوقة مقارنة بنظيرتها المكتوبة من الناحيتين : النظرية و التطبيقية[٥] .

والحق أن للبحث فى اللغة المنطوقة بداياته التاريخية الأولى . وهى بدايات ذات اتجاهات وغايات علمية شتى ومتزامنة أحيانا كثيرة ، و ليست بالضرورة مراحل تاريخية مترابطة تؤدى مرحلة إلى أخرى .

---

(٣) Loschmann, Marianne, Vom Lesen Zum Sprechen, VEB Verlag En zyklopaedie, Leipzig, 1. Auflage (1985) S.10

(٤) Coulthard, Malcolm, An Introduction to Discourse Analysis, Longman Group LTD, England (1977) p.1.

(٥) Schank, Gerd / Schoenthal, Gisela, Gesprochene Sprache, Eine Einfuehrung in Forschungansaetze und Analysemethoden, 2., durchgesehene Auflage, Niemyer Verlag , Tuebingen (1983) S.1.

بناء على ذلك ، يمكننا أن نوجز هذه المراحل فيما يلى : -

(١) توجيه النظر منذ أواخر القرن الماضى إلى دراسة اللهجات وجمعها وبيان خصائصها ومقارنتها باللغة الأدبية أو المعيارية . وقد لعبت هذه الدراسات الأولى دورا كبيرا فى تأسيس علم اللهجات Dialectology . ويبدو لنا أن اللغة المنطوقة قد فهمت - فى هذه المرحلة - على أنها تعنى اللهجة أو اللغة الدارجة أو العامية .

(٢) نهضة البحث فى الطبقات اللغوية Sprachschichtenforschung التى ارتبط النشاط فيها بموضوعات رئيسية فى اللغة الدارجة Umgangssprache وقد قفز هذا المجال إلى مركز الاهتمام فى الخمسينيات من هذا القرن .

وإذا كان التصنيف فى مجال البحث فى طبقات اللغة قد بدأ أول الأمر تصنيفا ثلاثيا : اللغة المكتوبة geschriebene Sprache ، واللغة الدارجة Umgangssprache واللهجة Mundart ، فقد أيد البحث النحوى تصنيف اللغة تصنيفا ثنائيا ، أى إلى اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة . من أجل ذلك ، يمكن القول بأن السبب غير المباشر للبحث فى اللغة المنطوقة فى الستينيات من هذا القرن قد نتج عن البحث النحوى .

لقد ترك هذان الاتجاهان آثارهما الواضحة فى تغير مجال البحث وتوجيه مساره . إنهما يشكلان ما دار حول اللغة المنطوقة فى المنطقة الألمانية الجنوبية من بحوث على نحو ما نجد منذ منتصف الخمسينيات فى حلقة توبنجن Tuebingen البحثية وانتقالها من علم اللهجات إلى البحث فى اللغة المنطوقة بحثا توصيفيا أوسع .

تحول البحث فى الطبقات اللغوية إذن إلى بحث فى اللغة المنطوقة . واستعان فى ذلك بمقولات سوسيولوجية مثل : دراسة حالة المتكلم ، ودوره ، و مكانته الاجتماعية . وهى مقولات اتضحت أهميتها للتوصيف اللغوى و تزايدت قيمتها فى

استخلاص معطيات تجريبية [٦] .

(٢) ظل علم اللغة فترة طويلة علما تاريخيا فى الأساس . و مع تغير طرق البحث من طريقة النظر التاريخى فى اللغة diachronisch إلى النظر الوصفى synchronisch إثربوسوسير de Saussure والبنيوية الأمريكية amerikanischer Strukturalismus ، صار بحث اللغة المنطوقة من الأسس المهمة فى البحث اللغوى بعامة .

لقد رأى دوسوسير و أتباعه من البنيويين أمثال سابير Sapir و بلومفيلد Bloomfield وهوكت Hokett وجليسون Gleason رأوا أن الشكل المكتوب للغة ليس إلا تسجيلا ماديا لأصوات حية منطوقة . ولعل خير شاهد على ذلك قول بلومفيلد مثلا :
" إن الشكل المكتوب ليس لغة ، و لكنه طريقة لتسجيل اللغة بواسطة إشارات ورموز مرئية "[٧] .

لقد جعل هذا التغيير من اللغة المنطوقة المعاصرة موضوعا جديرا بعناية العلماء . ومع التوجه إلى الدراسة الوصفية كان فى مقدمة القضايا التى أثيرت :

(أ) إمكانية وجود نظام ما للغة .

(ب) الكيفية التى يتجلى فيها هذا النظام .

ومن هنا تراجعت قضايا التغير اللغوى تراجعا بعيدا لفترة من الزمن . وفى هذه الظروف دأب العلماء على طرح إشكالية محددة : إن كانت اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة يكونان نظاما واحدا يرتبط بلغة بعينها . وقد أدى إلى إثارة هذه الإشكالية مالاحظه العلماء من فروق بين هذين الشكلين فى مجال النحو .

---

(٦) Schank / Schoenthal, op. cit., SS 2-3

(٧) Bloomfield, L., Language, Uni. of Chicago, U S A., (1984) p.281

هذه المرحلة تدين إذن للبحث اللغوى البنيوى في أمريكا ؛ لأنه وجه اهتمامه الأكبر نحو اللغة المنطوقة . و قد بدأ هذا الاهتمام بالتوجه إلى المصادر الشفهية للغة ، وبمحاولات تصنيف اللغات الهندية فى أمريكا . و ينكر هنا جهود فريز CH. C. Fries فى الحصول على تسجيلات صوتية هائلة لمحادثات تليفونية [٨] .

(٤) ومنذ الخمسينيات جدّ أحد اتجاهات علم الاجتماع الأمريكى ، و هو الاتجاه الإثنوميثودولوجى Ethnomethodologie فى دراسة التفاعل اللغوى اليومى . ويعد هذا الاتجاه فى حقيقته القسم الرابع من (التفاعلية الرمزية) Symbolic Interaction التى أسسها عالم الاجتماع الأمريكى جورج هربرت ميد G. H. Mead سنة ١٩٣٧ م . فقد سبقت الإثنوميثودولوجيا بمدرسة بلومر Blumer التى التزمت بفلسفة هربرت ميد التزاما كليا ، ثم مدرسة جوفمان Goffman التى قدمت شكلا جديدا فى التحليل الاجتماعى للذات من خلال اتجاه مؤسسها الجديد الذى أطلق عليه (الاتجاه المسرحى) . و قد تلا ذلك كله مدرسة كون Kuhn التى ركزت على المجال التجريبى للنظريات التفاعلية[٩] .

على أية حال ، فإن أنصار التفاعلية الرمزية قد ذهبوا إلى أن الذات هى الموضوع الأساسى للتفاعل ، حيث تحمل فى طياتها كما هائلا من التفسيرات المختلفة والمعانى . و قد ربط ميد بين فكرة الذات الفاعلة و عالم الرموز و اضعا الأساس النظرى للتفاعلية الرمزية[١٠] .

---

(٨) Schank / Schoenthal, op. cit. SS.3-4

(٩) زينب شاهين (دكتورة) : الإثنوميثودولوجيا : رؤية جديدة لدراسة المجتمع ، مركز التنمة البشرية والمعلومات ، القاهرة (١٩٨٧) ص ٣٠

(١٠) مريم أحمد مصطفى (دكتورة) : قضايا التنظير للتنمية فى العالم الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (١٩٨٥) ص ٧٥ .

وقد تأثرت الإثنوميثودولوجيا بالتفاعلية الرمزية ، بل بفينومينولوجيا هوسرل Husserl وشوتس Schutz [(١١)] من حيث دراسة الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع ، ودراسة طرقهم ومناهجهم التى ينتهجونها فى حياتهم اليومية ، و ما ينتج عنها من أنماط سلوكية ، و ما تشير إليه من خصائص عقلانية تمكنهم من التفاعل فيما بينهم . و يشير جارفينكل Garfinkel مؤسس الإثنوميثودولوجيا إلى أن هذا الاتجاه يقوم على ملاحظة العقلانية الاجتماعية العملية Practical Sociological Reasoning ، ويكون ذلك بمعالجة الخصائص الدالة لكلام الأفراد وسلوكياتهم [(١٢)] . ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه بعامة أنه مهتم بدراسة الحياة اليومية والواقع اليومى ، يقول ميهان Mehan وود Wood :

" تعرف الإثنوميثودولوجيا أحيانا بأنها أسلوب منهجى ، وقد تعرف على أنها نظرية ، و تعرف أحيانا أخرى بأنها نظرة معينة إلى العالم ... والرأى عندنا أن الإثنوميثودولوجيا ليست منهجا ، ولا نظرية ، ولا حتى نظرة إلى العالم . إنها صورة للفعل الاجتماعى ، تمكننا من معرفة و جهات نظر الجماعة إلى العالم " [(١٣)] .

والذى يعنينا هنا هو أن الإثنوميثودولوجيا قد جعلت كلام الأفراد الواقعى جانباً أساسيا من جوانب التفاعل الاجتماعى اليومى everyday social interaction .

---

(١١) انظر فى تفصيل ذلك :

– مريم أحمد مصطفى (دكتورة) : قضايا التنظير ص ٧٢ و ما بعدها .

– قبارى محمد اسماعيل (دكتور) : أصول علم الاجتماع ، دار الكتب الجامعية (١٩٧٨) ص ٣٤٣ و ما بعدها .

Leiter, Kenneth, A Primer on Ethnomethodogy, Oxford Uni- Prss, N.-Y. (1980) pp. 4-5

(١٢) Garfinkel, Harold, Studies in Ethnomethodology, Englewood Cliffs, New York (1967) p.11

(١٣) Mehan, Hugh / Wood, Houston, The Reality of . Ethnomethodology, New York (1975) p.3.

وإذا كانت الإثنوميثودولوجيا تسعى إلى محاولة فهم الأفراد من الداخل عبر تصوراتهم العقلانية التى يكوِّنونها خلال علاقات التفاعل مع الآخرين ومن خلال المعانى الذاتية التى يضفونها على أفعالهم ، فقد كان الطبيعى أن تستند الإثنوميثودولوجيا إلى لغة الحياة اليومية ، وأن تعتبرها عاملا رئيسيا فى تشكيل النظام فى المجتمع . ولذلك احتلت اللغة مكانا أساسياً فى البرنامج الإثنوميثودولوجى الذى يذهب إلى أن البناء والتصنيف اللغوى وأساليب الاتصال بين الأفراد هى التى تؤدى إلى ظهور النشاط الاجتماعى المنظم و تعبر عنه .

إن قيمة هذه الرؤية الجديدة تكمن فى أن اللغة تعد وسيطا لإنجاز أفعال اجتماعية علمية ، أى أنها وسيلة لتشكيل الواقع الاجتماعى (١٤) .

لقد رفضت الإثنوميثودولوجيا فكرة اللغة من حيث هى نسق مستقل عن متكلم بعينه وخارجى وملزِم ومجرد ومنتشر وعام ويعمل فى أى سياق . و قد عبر عن هذه الرؤية الجديدة جون ركس J . Rex حين ذهب إلى أن دراسة المعانى التى يسلم بها الأفراد فى لغتهم اليومية تؤدى إلى الأساس الحقيقى للنظام الاجتماعى ، وهو ما يعنى أن استخدام اللغة يتضمن قبول الأفراد الذين يستخدمونها لنظام معيارى معين (١٥) .

وتعد بحوث شيكوريل Cicourel فى اللغة المنطوقة فى أقسام الشرطة من أهم البحوث الإمبيريقية فى الاتجاه الإثنوميثودولوجى . و قد أوضحت هذه البحوث أن التصنيفات النظرية والقانونية والسجلات الرسمية التى تمثل الأساس لعلم الاجتماع الكمى هى كلها أقنعة تخفى وراءها عمليات مقابلات ومواجهات encounters ، تتضمن

---

(١٤) محمد حافظ دياب (دكتور) : الإثنوميثودولوجيا : ملاحظات حول التحليل الاجتماعى للغة ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث (١٩٨٤) ص ١٦١ .

(١٥) أحمد زايد (دكتور) : علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية و النقدية ، دار المعارف بمصر (١٩٨١) ص ٤٦٤ .

الكثير من المفاوضات والجدل والمساومات ... الخ .

وقد أوضحت المقارنة بين السجلات الرسمية ومضمون المقابلات الواقعية الأساليب اللغوية والاجتماعية المنظمة التى يتم بمقتضاها تصنيف الأفعال وفهمها وتقييمها . وعلى هذا تعتبر اللغة الموجودة فى السجلات الرسمية صياغة منقحة للغة الحياة اليومية ، ومن ثم تنبعث قيمة اللغة بالنسبة لعلم الاجتماع الإثنوميثودولوجى فى أن حديث الأفراد والطريقة التى يتحدثون بها والمجال الذى يتم فيه الحديث ، كل هذا يشكل بالفعل الواقع الاجتماعى . فالعالم الاجتماعى ـ فى نظر الإثنوميثودولوجيا ـ هو إنجاز وتحقيق عملى practical accomplishment من جانب هؤلاء الذين يؤدون به فعلا . وتلعب اللغة دورا رئيسياً فى هذا الإنجاز [١٦] .

لقد عنيت الإثنوميثودولوجيا بدراسة كيفية تنظيم المواقف العملية فى الحياة اليومية بطريقة اجتماعية . هذه المواقف التى تظهر تلقائيا من خلال توقعات كلية أو جزئية فى لغة الحياة اليومية للأفراد . ومن هنا يمكن استيضاح محدداتها الأساسية فى : —

(أ) رفض فكرة النظر إلى اللغة بما هى نسق مستقل وخارجى عن الموقف .

(ب) أن اللغة أساس اجتماعى بوصفها وسيطا لإنجاز الفعل الاجتماعى ووسيلة لتشكيل الواقع .

(ج) أن تحليل لغة الحياة اليومية يهدف إلى الكشف عن القوانين التى تحكم استخدام الأفراد لتلك اللغة .

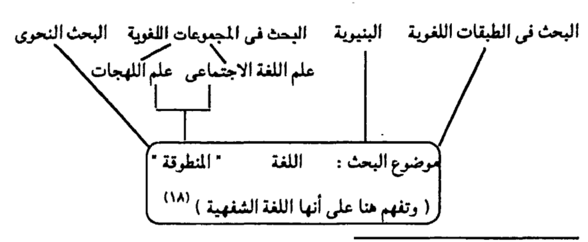
ويرى تسيمرمان Zimmermann أن لغة الحياة اليومية قد أهملتها المقولات اللغوية ، كالنحو والدلالة ، برغم إمكاناتهما الكبرى فى دراستها . وهذا هو ما حدا بالإثنوميثودولوجيا إلى التركيز عليها بوصفها هدفا اجتماعيا وتفاعليا . ومن هنا يجب

(١٦) زينب شاهين (دكتورة) : الإثنوميثودولوجيا ص ٩٨

أن تلاحظ فى سياقها ، وأن توصف فى حد ذاتها ، لا باعتبارها مجرد مصدر لدراسة الحياة الاجتماعية . وهى بهذا الفهم اجتماعية فى الأساس (١٧) .

من كل ما سبق يتبدى لنا خصوبة الأفكار التى استند إليها هذا الاتجاه . ومن أجل عنايته الأساسية بالأبعاد السوسيولوجية للظاهرة اللغوية ، واهتمامه الفائق بالممارسات الحية للغة الحياة اليومية وبالجوانب الإمبيريقية فى بحث هذه اللغة فى سياقات ومحيطات لغوية ـ اجتماعية مختلفة ، نقول ـ : من أجل كل هذه الأسباب نظر إليه اللغويون من زاوية لغوية ، وجعلوه فرعا لغويا يأخذ بمقولات سوسيولوجية ، وهو فرع علم اللغة الإثنوميثودولوجى ، الذى ينهض على أساس ربط العمليات الكلامية الحية بعقلانية الأفراد الذين تصدر عنهم تلك العمليات .

(٥) ولعل النهضة الكبرى التى شهدتها دراسة اللغة المنطوقة هى تلك التى أنتجها تقدم البحث وتنوعه فى علم اللغة الاجتماعى ، فإذا كان علم اللهجات يمثل مركز الثقل فى بحث اللغة المنطوقة ، فإن لعلم اللغة الاجتماعى Sociolinguistics أهميته الكبرى فى بحث الاستخدام اللغوى الشفهى . و يحدد شانك / شونتال الصلات بين المجالات البحثية السابقة عن طريق المخطط الإجمالى التالى :



(١٧) محمد حافظ دياب (دكتور) : الإثنوميثودولوجيا : ملاحظات حول التحليل الاجتماعى للغة ص ١٦ ٣ .

(١٨) Schank / Schoenthal, op. cit., S.3

وينبغى الإشارة هنا إلى أن البحث فى اللغة المنطوقة يتماس فى بعض نقاطه مع كل من علم اللهجات و علم اللغة الاجتماعى . ويبدو هذا التماس فى موضوعات البحث فى هذه المجالات ، كما يبدو فى تطبيق المناهج الإجرائية [١٩] .

وتكمن الفروق الجوهرية بين اللغة المنطوقة وهذين الفرعين فى أن علم اللهجات يهتم اهتماما أوليا بالاختلافات الإقليمية فى اللغة ، وفى أن علم اللغة الاجتماعى يهتم إهتماما أوليا بأثر الاختلافات الاجتماعية فى اللغة ، بينما يعنى البحث فى اللغة المنطوقة عناية خاصة بالاختلافات اللغوية المشروطة بالموقف Situation والمرتبطة به .

ومما يذكر هنا أن علم اللهجات قد أمد المجالين الآخرين بالعناية المطلوبة ، من حيث بحث مسائلهما و تقصيها تاريخيا diachronisch [٢٠] .

من ناحية أخرى ، فإن دراسات اللغة المنطوقة قد قادت إلى مناقشة مفهوم الكفاية اللغوية Kompetenz عند تشومسكى Chomsky ، ومناقشة مفهومه عن المتكلم والمستمع المثالى (أو المفترض) فى جما عة لغوية متجانسة ، بل لقد قادت هذه الدراسات إلى نقد مفهوم الكفاية ذاته وتطويره [٢١] .

أضف إلى كل ما سبق ، أن الأعمال التى أجريت على اللغة المنطوقة حتى الآن ، قد

---

(١٩) منها مثلا عناية علم اللهجات وعلم اللغة الاجتماعى حديثا باللغة المنطوقة (إلى جانب عنايتهما الأساسية بالألفاظ المفردة والجمل المفردة فى الأول ، و اللغة المكتوبة فى الثانى) . و منها اشتراك هذه المجالات جميعا فى العناية بأثر السياق والطبقة الاجتماعية فى التركيب اللغوى .

(٢٠) Schank / Schoenthal, op. cit. SS .3-4

(٢١) والحق أن مفهوم الكفاية اللغوية عند تشومسكى يعد تطويرا لمفهوم (اللسان) عند دوسوسير فاللسان عنده " مخزن يودع عن طريق ممارسة الكلام فى الأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة نفسها ، ونظام نحوى يوجد بالقوة فى كل دماغ " .

أما الكفاية ، فهى ليست مجرد مستودع فى الدماغ ، بل هى ـ كما يصفها مارك ريشل ـ قدرة نفسانية خلاقة عند الشخص الناطق . إنها عملية ابتكار لأن أهم خواصها يتمثل فى إصدار عبارات جديدة وتأويلها =

استطاعت أن تكسب علم اللغة بعدا تجريبيا وعلاقة جديدة بمناهج البحث التجريبية ، بعد مرحلة ساد فيها الحدس والافتراض بتأثير مدرسة تشومسكى فى النحو التوليدى التحويلى (TGG) .

وينبغى بعد كل ذلك ، أن ننوه إلى قيمة إسهام البحث فى اللغة المنطوقة ، متضامنا فى ذلك مع علم اللغة النصى Textlinguistik وفلسفة اللغة التحليلية فى مجاوزة اللسانيات الحديثة حدود الجملة عبر مفاهيم مثل : أنماط النص Textsorte، والنحو الأكبر Makrosyntax ، والحدث الكلامى Sprechakt ، وسلسلة الحدث الكلامى Sprechaktsequenz ، وتغيير المتكلمين Sprecherwechsel [٢٢] .

= باستمرار رغم خضوع هذه العبارات دائما إلى أحكام القواعد نفسها (مارك ريشل : اكتساب اللغة ، ترجمة دكتور كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م) ، ص ١٤) .

وبالرغم من ذلك ، فإن أهم ما وجه إلى مفهوم الكفاية من نقد أنه ركز على الشخص الناطق و قدرته على توليد الكلام ، فى الوقت الذى أغفل فيه إغفالا يكاد يكون تاما المحيط الاجتماعى وملابسات الموقف الاجتماعى التبليغى ، فالمعنى اللغوى للملفوظ لاينتهى عند حدوده النحوية بل يكتمل فى سياقه الموقفى Context of Situation ، باعتبار اللغة فى جوهرها شكلا من أشكال السلوك ، وباعتبار الفعل الخطابى ـ كما يقول توماس لو كمان ـ عملية اجتماعية داخل حالة ديناميكية .

(توماس لوكمان : علم اجتماع اللغة ، تعريب دكتور أبو بكر أحمد باقادر ، كتاب النادى الأدبى الثقافى بجدة ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) ص ٨٨) .

(٢٢) Sachnk / Schoenthal, op. cit.S.5

المبحث الثانى

العلاقة بين الكلام والكتابة

العلاقة بين الكلام و الكتابة

إن لكل لغة من اللغتين : المكتوبة والمنطوقة وظائفها فى المجتمع ، حتى إن بعض علماء الأنثروبولوچيا و الاجتماع ، مثل جودى Goody يرى أن التفكير التحليلى analytic Thinking يحصل لدى الفرد عند اكتسابه اللغة المكتوبة ، ذلك أنها تدوين للكلام يمكِّن الإنسان من امتلاك الكلمات المفردة ومعالجة نظامها وتطوير صور التفكير المنطقى (٢٣) .

ويحدد جودى للغة المكتوبة وظيفتين أساسيتين :

(**إحداهما**) وظيفة التخزين **the storage function** التى تتجاوز بعملية التوصيل الزمان والمكان .

(**و الأخرى**) هى نقل اللغة من المجال السمعى إلى المجال البصرى ، والسماح بسبر أغوار الكلمات والجمل فى سياقاتها الأصلية **original contexts** (٢٤) .

ويدلنا تاريخ الكتابة على أنها قد أحيطت بأجواء سحرية ، حتى إنها بعد أن تجردت من كل صفة سحرية ، ظلت محاطة بهالة من الرهبة والاحترام ، ذلك أن الناس قد احتفظوا بما للنص المكتوب من خرافة (٢٥) . وقد استغل الدين والقانون هذه العاطفة

---

(٢٣) Goody , J . , The Domestication of the Savage Mind , CambridgeUni Press (1977 p.11

وقارن :

Brown , Gillian / Yule , George , Discourse Analysis , Cambridge Uni . Press (1983) pp.12-13

(٢٤) Brown / Yule , op . cit . , p.13

احتفظوا بما للنص المكتوب من خرافة [٢٥] . وقد استغل الدين والقانون هذه العاطفة ليفرضا على أذهاننا النص المكتوب ، الذى لايعتريه تحويل أو تبديل ، والحرف الذى يتحدى ما يقتضيه العقل . ومازلنا نكرر " هذا مكتوب " أو " لقد كان ذلك مكتوبا " ، كما أننا نتصور المقدور مسجلا فى كتاب كبير تطوى منه فى كل يوم صفحة [٢٦] . وتعتبر الرموز المكتوبة فى حد ذاتها صلة مهمة فى العلاقة التاريخية بين اللغة والثقافة والبناء الاجتماعى ؛ ففى الحضارات الكلاسيكية فى العالم القديم ، تطورت الكتابة من مصادر سحرية وكذلك مصادر " اقتصادية وسياسية عقلانية " . وارتبطت كذلك ارتباطا وثيقا بتطور الصيغ المركزية للحكومة . فلقد ساعدت الكلمات المكتوبة الإداريين المختصين من رجال الدين على إعطاء معنى دنيويا للغة الدينية [٢٧] .

ويبدهى أن الكلام قد سبق الكتابة . وفى العربية كان عصر التدوين بعد أن نظم الشعراء القدماء أشعارهم وتبادلها الرواة و الناس شفاهة ، ولذلك كانت الصورة المسموعة للغة العربية أسبق من الصورة المكتوبة أو المقروءة . ونذكر هنا نسخ المصحف و تدوين السيرة النبوية والرسائل القضائية والديوانية وتاريخ الفتوحات بعد الحفظ فى الصدور

---

(٢٥) وينبه جون لاينز إلى أن مصطلح **Utterance** (و حدة كلامية ، قولة) يشير عادة إلى اللغة المحكية (المنطوقة) ، بينما يشير مصطلح **Text** (نص) إلى اللغة المدونة (المكتوبة) (جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة دكتور عباس صادق الوهاب ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى (١٩٨٧) ص ٢٥) . بيد أن أكثر اللغويين يتوسعون الآن فى استخدام مصطلح (النص) ، فيطلقونه على المكتوب والمنطوق معا . فإذا كان النص بمفهومه الأدبى ينبغى أن يكون تسجيلا مطبوعا **printed record** فإن تسجيل الحدث التبليغى المنطوق على شريط **tape-recording** سوف يحافظ على النص كذلك .

(٢٦) ج . فندريس : اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ص ٤٠٤

(٢٧) توماس لوكمان ، علم اجتماع اللغة ، ص ٤٨

والرواية و التناقل الشفهى .

ومن الخطأ – كما يذكر فندريس – أن نظن أن النص المكتوب يعتبر تمثيلا دقيقا للكلام . فلسنا – على عكس ما يتصور كثير من الناس – نكتب كما نتكلم ، بل إننا نكتب (أو نحاول أن نكتب) كما يكتب غيرنا . و إن أقل الناس ثقافة يشعرون ، بمجرد وضع أيديهم على القلم ، بأنهم يستعملون لغة خاصة غير اللغة المتكلمة (= المنطوقة) ، لها قواعدها واستعمالاتها كما أن لها ميدانها وأهميتها الخاصين بها [٢٨] .

و يشرح فيرث **Firth** هذه القضية مرة أخرى بقوله :

" إن كثيرا من الناس عندنا يظنون أن كلامهم سوف يكون أفضل إذا ما تكلموا على نحو ما يكتبون ، أو على نحو ما تقضى الإنجليزية المعيارية **Standard English** المستخدمة فى الكتب . وكثير من الناس يقول كذلك بقانون مخالف : " اكتب كما تتكلم " . و من الواضح أن المرء يكتب بالطبع كما يتكلم . وغالبا ما يرتبط هذان الشكلان من السلوك اللغوى أحدهما بالآخر ، لاسيما إذا استخدما للتعبير عن أغراض متشابهة . ولكن ثمة أشياء " تقال " أفضل مما " تكتب " ، كما أن ثمة أشياء أخرى يكون من الأسهل كتابتها ولا يمكن لها أن تشكل جانبا من المحادثة ، وإن أمكن قولها فى جماعة لغوية ذكية فحسب " [٢٩] .

لقد كانت اللغة المكتوبة حتى عهد قريب تتمتع بميزتين لاتوجدان فى اللغة المنطوقة : –

---

(٢٨) ج . فندريس : اللغة ، اللغة ٤٠٥

(٢٩) Firth , J . , R . , The Tongues of Men and Speech , Oxford Uni. Press , London (1970) p.50

(**إحداهما**) أنها لغة باقية ، أما اللغة المنطوقة فزائلة .

(**والأخرى**) أنها يمكن أن تنتقل عبر مسافات بعيدة على عكس اللغة المنطوقة .

أما الآن ، فإن التسجيلات والأشرطة و غير ذلك من أشكال " الأحاديث المحفوظة " تحقق للغة المنطوقة ميزة الاستمرار والانتقال إلى آماد بعيدة ، حتى إن من العلماء من يتساءل الآن : ما إذا كان الوقت لم يحن بعد لأن تختفى لغة الكتابة وتحل محلها لغة الحديث . ولكن ليس هناك حتى الآن – كما يقول ماريوباى – أى علامة على احتمال حدوث ذلك قريبا (٣٠) .

ويمكننا الآن القول بأن الكلام يتمتع حقا بميزات تفتقدها عملية التسجيل الكتابى للحدث التبليغى ، فالإنسان يمكنه أن يمارس الكلام فى الوقت نفسه الذى يباشر فيه عملا آخر يدويا كما يمكنه أن يتحدث فى الظلام وفى أماكن تختفى فيها إمكانية الكتابة .

من ناحية أخرى ، يمكننا ملاحظة اتساع اللغة المنطوقة لكل مجالات الحياة الإنسانية ونشاطاتها ، بما فيها من دقائق و شئون صغيرة يومية .

و حرى بالإشارة هنا أن الكتابة تظل عاجزة – إلى حد ما – عن أن تكون تمثيلا دقيقا متكاملا للكلام ، ففضلا عن عجز الكتابة عن إظهار صورة أمينة للغة المنطوقة هجائيا أو فونولوجيا فى بعض الأحيان ، فإن الكتابة – بأعرافها المستقرة الثابتة – لاتمتلك أدوات تسجيل الجوانب الموضوعية غير اللغوية فى الحدث التبليغى أو أثناء عملية التكلم Speaking مثل حركات اليد وتعبيرات الوجه ، وإيماءات الرأس ،

---

(٣٠) ماريوباى : أسس علم اللغة ، ترجمة دكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، القاهرة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص ٣٩

والذراعين ، والرجلين أحيانا ، وإشارات الجسم الدالة لغويا واجتماعيا بوجه عام general bodily gesture . ولابد أن تدل اللغة المكتوبة على هذه الجوانب غير اللغوية ، إن أرادت ، بالوصف اللفظى الصريح ، على نحو ما نجد عادة فى لغة الرواية والمسرحية (لاحظ هنا إشارات الروائى إلى كيفية حديث الشخصية الروائية وإشارات الكاتب المسرحى أو إرشاداته للمخرج فى كيفية أداء الشخصية للكلام والإلقاء على نحو خاص يرتبط بالحدث و الموضوع) .

وقد دفعت الفروق السابقة بين الكلام والكتابة لغويا معاصرا مثل ماريوباى إلى القول بـ " أن الصورة المكتوبة للغة ، التى كانت ، ولاتزال ، وستظل ذات أهمية ضخمة للجنس البشرى فى نقل المعانى من مكان إلى مكان عبر السنين (على الرغم من تضاؤل قيمتها نسبيا أمام وسائل القرن العشرين المختلفة فى تسجيل أصوات الكلام المنطوق) – لتعد من وجهة نظر علم اللغة مفيدة ومضرة فى و قت واحد .

إنها مفيدة بمقدار ما أمدتنا به من مادة لتلك اللغات التى اختفت من عالم الوجود . وهى مضرة لأنها ليست دائما أمينة فى إعطاء الصورة المنطوقة كما هى ، بل ربما كانت خادعة ومضللة . و ليس هناك مثال فى هذا المقام أدل على التعبير عما نعنيه من طريقة الهجاء الحديثة للغة الانجليزية التى تعطى صورة جزئية ، وكثيرا ما تكون مضللة لطريقة النطق اليوم [٣١] .

---

(٣١) ماريوباى : أسس علم اللغة ص ٦٠

المبحث الثالث

المنطلق النظرى العلمى للبحث فى اللغة المنطوقة

المنطلق النظرى العلمى للبحث فى اللغة المنطوقة

بالرغم من أن اللسانيات قد تأخرت فى عنايتها باللغة المنطوقة عناية جادة ، فإنها قد احتلت مركز الثقل فى الدراسات المعاصرة بفضل النهضة الهائلة فى الدراسات الميدانية للهجات والعناية بجمع التراث الشفهى ودراسته ، ولتفوقها على اللغة المكتوبة فى احتواء مكونات غير كلامية تؤثر فى التلقى والتفسير . وقد تغيرت الصورة التى يرسمها جون لاينز John Lyons بقوله : إن جميع علماء اللغة ومعظم الفلاسفة يؤيدون مشافهة على الأقل مبدأ إعطاء الأولوية للغة المحكية (المنطوقة) [٣٢] . لقد تغيرت هذه الصورة المبسطة إلى حد بعيد ، وصار الاعتراف بالأولوية للغة المنطوقة اعترافا شفاهيا – من واقع النهضة التى شهدتها العناية باللغة المنطوقة منذ الستينيات – أعمالا علمية مستفيضة .

ويمكننا أن نوجز المنطلقات النظرية للبحث فى اللغة المنطوقة فيما يلى :–

(أولا) أثر البحث فى اللغة المنطوقة فى التخلص من الأحكام الحدسية والافتراضية على شيوع ظواهر لغوية بعينها ، بدرجات متفاوتة ، فى نصوص اللغة المكتوبة والمنطوقة معا. من هنا عرضت مرة أخرى بعض القضايا النظرية التى لم يكن يتوصل إلى تفسيرها إلا بواسطة المعالجة الكمية والإحصائية .

(ثانيا) أن مركز الثقل فى البحث فى اللغة المنطوقة يكمن فى مناهج العمل المأخوذة عن البحث الاجتماعى الإمبيريقى .

---

(٣٢) جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ، ص ٢٨ .

(ثالثا) أن اللغة المنطوقة هى أسبق وسائل الاتصال اللغوى الإنسانى وأوسعها انتشارا . ويعد متوسط ماينتجه الفرد العادى من حديث أكثر بكثير مما ينتجه من كلام مكتوب . ومن أجل ذلك فإنه من السائغ للغوى linguist – على عكس دارس فقه اللغة philologist – أن يهتم أولا باللغة المنطوقة ، ثم ثانيا باللغة المكتوبة (باعتبارها – إلى حد كبير أو صغير – تمثيلا صادقا للغة المنطوقة) (٣٣) .

(رابعا) بالرغم من التسليم بالاختلاف الواضح بين اللغتين : المكتوبة والمنطوقة ، فإنه ينبغى مراعاة التفاعل بينهما وطرق هذا التفاعل . و لا بد من التنبيه إلى أنه فى الوقت الذى نقر فيه بحقيقة تأثر إحدى اللغتين بالأخرى على مستوى البنية وتناوبهما على مستوى الوظيفة ، فإن هناك حالات يصعب فيها القول باختصاص إحدى اللغتين دون الأخرى بهذه البنية وتلك الوظيفة . ونحن ننظر إلى هذا التفاعل بين اللغتين على أنه أمر طبيعى و حتمى ، ذلك أن العلاقة بين المكتوب و الملفوظ علاقة طبيعية وحتمية كذلك . ومن هنا لانريد أن نوجه هذا التفاعل الوجهة التى يشير إليها فندريس بقوله إن بعض العلماء يميل إلى اعتبار اللغة المكتوبة خادما مطيعا للغة الكلام (٣٤) . فالعلاقة بينهما أخذ وعطاء وليست خادما ومخدوما .

(خامسا) ينبغى أن تنطلق نظرية اللغة المنطوقة من ضرورة اللحاق بالتغيرات التى تطرأ على هذه اللغة والإحاطة بها وإعادة النظر فيها من آن إلى آخر . و مما يذكر هنا أن التطور والتغير فى اللغة المنطوقة أسرع منه – بوجه عام – فى اللغة المكتوبة ، باعتبار العلاقة المثالية بين اللغة المكتوبة واللغة المشتركة التى هى بطبعها لغة محافظة ، بينما يبدو

---

(٣٣) ماريو باى : أسس علم اللغة ، ص ٤٠

(٣٤) فندريس : اللغة ص ٤١٤

مجال التأثيرات الفردية فى اللغة المنطوقة أرحب وأكثر انفتاحا .

ويشير ماريوباى إلى فكرة مهمة هى أنه ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار أن الصيغة المكتوبة للغة – و خصوصا إذا كانت اللغة واسعة الانتشار – تقوم بدور هام فى تعطيل تيار التغير الذى يلحق لغة الكلام بسرعة . و يشرح ماريوباى هذه الفكرة بأن لغة الكلام إذا تركت و شأنها تكون عرضة لتغيرات طبيعية فطرية تبعدها عن المركز ، تعبر عن نفسها بسرعة خلال الزمن ، وتظهر فى شكل لهجات عبر الزمن . وكلا العاملين (التطور الفطرى والانقسام إلى لهجات) يعوق تحقق الغاية العملية للغات وهى الاتصال . وإن الصيغة المكتوبة بفرضها مستوى معينا من الصواب – مهما كان تعسفيا – تعطل حركة هذين العاملين وتعوق فعاليتهما . إنها تحرك قوى مركزية جاذبة – ولو صناعية – تعادل القوى المركزية الطاردة الموجودة فى اللغة . و يستخلص ماريوباى من ذلك كله أن اللغة المكتوبة تساعد على تحسين وسائل الاتصال – حتى فى مجالات التفاهم الشفوى – بين أعضاء الجماعة اللغوية الواحدة . إن فائدتها – على الأقل – تتمثل فى إضفاء روح اللغة الأدبية المشتركة ، التى تتمتع باهتمام الدارسين ، على اللغة المتكلمة (المنطوقة) ليسهل التفاهم بها [٣٥] .

(سادسا) ينبغى أن يتسم البحث فى اللغة المنطوقة بالحذر والحيطة فى كشفه عن ظواهر هذه اللغة وإشكالياتها فى ضوء اللغة المكتوبة . فقد يكون فى المقارنة بينهما ظلم للغة المنطوقة من بعض جوانبها ؛ لأنه – إذ ذاك – حكم على لغة ذات طبيعة خاصة على أساس القياس النظرى والتحليلى للغة أخرى ذات طبيعة مختلفة اختلافا بينا . من ناحية أخرى ، فقد نسارع إلى الحكم على صيغ أو تراكيب منطوقة – فى ضوء نظائرها

(٣٥) ماريوباى : أسس علم اللغة ص ٦١ – ٦٢ .

المكتوبة – بالفساد أو الخطأ أو الرداءة ، حتى تبدو لنا ذات يوم وقد اكتسبت شرعية الدخول فى اللغة المكتوبة .

(سابعا) قادت البحوث التى أجريت على الملفوظات اللغوية باعتبارها ملفوظات تعكس جوانب عقلية وفعلية إلى نقلة فى الإسهام النظرى للبحث فى اللغة المنطوقة . وهى نقلة انعكست على التطور العام لعلم اللغة . و يؤكد البحث المنهجى الفعلى – كما يذكر شانك / شوينتال – ضرورة النظر إلى الملفوظات اللغوية غير منعزلة عن سياقها التعاملى Handlungszusammenhang الذى تنتج عنه و تنشأ فيه [٣٦] . و هذا ما تلح عليه دائما بحوث اللغة المنطوقة .

---

(٣٦) Schank / Schoenthal, op. cit., S.5

المبحث الرابع

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة وتشعب المصطلح

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة وتشعب المصطلح

كان من آثار علم اللغة التاريخى historical Linguistics (أو Linguistique Diachronique فى مصطلح دوسوسير) منذ أواخر القرن الماضى أن نشأت عدة اصطلاحات فنية مثل اللغة المكتوبة ، واللغة المعيارية ، واللغة المشتركة ، واللغة الأدبية . وتشترك هذه الأشكال اللغوية جميعا – مع مابينها من اختلافات وما لكل منها من خصوصيات – تشترك فى امتلاكها نصوصا ووثائق ثابتة تاريخيا . وهذا مايحرص عليه علم اللغة التاريخى ، الذى يعتمد فى تتبع نمو اللغة وتطورها على الأشكال المكتوبة من اللغة . وقد وصل هذا الأمر إلى أن المنهجين الدراسيين فى علم اللغة التاريخى ، ونعنى بهما المنهج المقارن ، ومنهج إعادة تركيب اللغة ، قد أسسا كلية على ماوجد من وثائق مكتوبة . ومن حيث طبيعة البحث ، فإن علم اللغة التاريخى لابد أن يعتمد على المادة المكتوبة بقدر ما يعتمد علم اللغة الوصفى على المادة الكلامية لمتكلمين أحياء [(٣٧)] .

وإذا أردنا تفصيل ذلك فلنلاحظ مايلى :–

(أولا) أن اللغة المشتركة هى التى تعلو على التباينات اللهجية المحلية للغة ما . وهى أوسع من اصطلاح اللغة المكتوبة ، وليست مرادفة له كما يظن بعض الباحثين . إنها أوسع من اللغة المكتوبة بمعناها الاصطلاحى الدقيق ؛ ذلك أنها يمكن أن تكون مكتوبة ، كما يمكن أن تكون منطوقة . وهما شكلان مختلفان وإن انتميا إلى نظام لغوى بعينه . ومن هنا يصح القول بأن كل لغة مشتركة هى لغة مكتوبة بالضرورة ؛ لأن اللغة المكتوبة هى الطابع

---

(٣٧) ماريو باى : أسس علم اللغة ، ص ١٦٤

المميز للغات المشتركة ، وليست اللغة المكتوبة بمفردها مرادفة إذن للغة المشتركة .

والمعروف من التطور التاريخى للغات أن اللغة المشتركة تنشأ أولا ، وتنشأ عن لهجة أو لهجات محلية ، مهما استغرقت نشأتها من وقت . وتشيع اللغة المشتركة ، وتكتسب مكانة خاصة بين أصحابها . وترجع تلك المكانة بالطبع إلى قدرتها على استيعاب موروثات الجماعة ، وعلى إنجاز العمليات التبليغية بين أفرادها بنجاح ، مهما تعددت وجوه هذه العمليات وطبقاتها .

وينبغى أن نحترز هنا مع مايزعمه فيرجسون Ferguson فى إطار البحث فى اللغة العربية : يزعم فيرجسون أن معظم اللهجات العربية الحديثة قد نشأت عن اللغة المبكرة عن طريق صيغة للعربية الحديثة يسميها بالعربية الوسطى Arabic Koine ؛ وهى العربية التى لا تضاهى أية لهجة من اللهجات القديمة ، والتى تختلف عن العربية الكلاسيكية Classical Arabic فى كثير من الظواهر المهمة . ويرى فيرجسون أن هذه اللغة الوسطى كانت مستخدمة جنبا إلى جنب مع اللغة الكلاسيكية أثناء قرون مبكرة من تاريخ المسلمين (٣٨) . ونحن نرجح – على أساس ماتظهره لنا المقارنات بين اللهجات القديمة واللهجات المحلية الحديثة فى بيئات لغوية عدة – أن اللهجات الحديثة لم تنشأ عن لغة مبكرة ، وإنما هى امتداد للهجات القديمة ، وإن كان لهذه اللغة الوسطى التى يتحدث عنها فيرجسون دور فى صياغة اللهجات المحلية المختلفة ، بشرط تصور إمكانية تأثر هذه اللغة الوسطى بالبيئة اللغوية التى استخدمت فيها ، فلم تكن لغة وسطى واحدة فى كل

---

(٣٨) Ferguson, Charles A., The Arabic Koine, in : Language, Journal of the Linguistic Society of America, ed. by B. Bloch, Volume 35 Waverly Press, Inc. Baltimore U. S. A. (1959) pp. 616 - 360, p.616

البيئات اللغوية العربية .

(ثانيا) تستخدم اللغة المنطوقة مقابلة للغة المكتوبة . وهما معا شكلان مختلفان إلى حد ما ، مهما يكن بينهما من علاقات ، لمستوى لغوى واحد من لغة واحدة مشتركة . ويقابلنا هنا اصطلاح آخر هو(لغة الكتابة) ، الذى ينبغى أن يكون مقابلا لـ (لغة الكلام) . وتنصرف (لغة الكلام) عادة – إذا أردنا ضبط الاصطلاح – إلى اللهجات المحكية للغة بعينها . ويعنى هذا أن (لغة الكتابة) و (لغة الكلام) ليستا صورتين لمستوى لغوى واحد من لغة واحدة مشتركة . وإنما هما – فى الأصل – شكلان مختلفان ومستويان متمايزان ، وإن انتميا – بالطبع – إلى لغة بعينها . وإذا أردنا مثالا يوضح لنا ماسبق قلنا : إن العربية الفصيحة تمثل عندنا اللغة المشتركة ، وهى لغة مكتوبة فى الوقت نفسه ، ولايمنع ذلك من أن تكون لها صورة أخرى منطوقة فصيحة كذلك . فإذا قلنا : إنها مع كل ذلك لغة الكتابة ، كنا نريد بهذا أن نفصل بينها وبين مستوى آخر عام – فى إطار العربية – هو اللهجات العربية المحكية .

وغنى عن البيان أن لغة الكتابة واللهجات الدارجة تنتميان إلى فترتين مختلفتين من تاريخ اللغة .

وإذا أردنا أن نخصص كلامنا عن العربية مرة أخرى فى شئ من التفصيل ، رأينا أن العربية أينما نطقت اليوم أو كتبت ، فإن كلتا هاتين الصورتين اللغويتين تستخدم جنبا إلى جنب . فإلى جانب العربية الدارجة **Umgangsarabisch** ، وهى لهجة عربية حديثة ، هناك عربية الكتابة أو العربية الفصيحة ، التى تحافظ على الصيغة اللغوية للعربية القديمة . ويستثنى من ذلك لغة جزر مالطة ، التى تحولت فيها لهجة عربية حديثة إلى لغة كتابة ، تكتب بأبجدية لاتينية خاصة . أما العربية الفصيحة ، فليست معروفة هناك .

إن لغة الكتابة Schriftsprache تستخدم فى الصياغة الكتابية للنصوص . ويعد استخدامها فى الاتصال الشفهى العادى استخداما فى غير محله . فاللهجة هى لغة الكلام (العادية) . ولا تكتب هذه اللهجة إلا فى مجالات خاصة . وتسرى هذه الازدواجية اللغوية Zweisprachigkeit فى المنطقة العربية بأسرها ، وإن عرفت اللغة الفصيحة واللهجة كلتاهما اختلافات إقليمية .

والحق أن الازدواجية اللغوية فى المنطقة العربية ازدواجية قديمة . فمنذ أن صارت العربية القديمة لغة الثقافة الإسلامية ، وطوال العصور الوسطى حتى اليوم ، كانت تلك هى الحال .

ومعلوم لدينا أن معرفة لغة الكتابة أو اللغة الفصيحة منحصرة فى دائرة المتعلمين . إن معرفة اللغة الفصيحة تعنى الانتماء إلى طبقة المتعلمين والمثقفين العليا . وربما لم تكن العربية القديمة لغة الثقافة فى عصر ازدهار الخلافة والحضارة الاسلامية العربية فحسب ، بل كانت أيضا لغة البلاط ودوائر المثقفين فى العالم الإسلامى كله . ولم يكن كثير من العرب يفهمونها أو يتخاطبون بها ، كما هى الحال اليوم أيضا . ومن المؤكد أن اللغة الفصيحة فى عصر الازدهار الحضارى قد تعلمها الناس على نحو أفضل وانتشرت بينهم انتشارا أوسع . ولكن إجادة اللغة الفصيحة قد تضاءلت أكثر فأكثر فى عصور التدهور الحضارى ، لاسيما منذ بداية العصور الوسطى المتأخرة (حوالى القرن الثالث عشر الميلادى) ، حتى إذا كان القرن الثامن عشر زاد هذا التضاؤل وبعد مداه .

لقد بات معروفا تقسيم الاستعمال اللغوى إلى هاتين الصورتين ، إذ أصبحت اللغة الفصيحة لغة الكتابة الأساسية ويؤول إليها كل مايتعلق بالمكتوب . إنها لغة الخطاب الشفهى الرسمى ، ولغة الشعائر الدينية ، والخطب الدينية ، والخطب المنبرية ، والمناقشات البرلمانية ، والمحاضرات . وباختصار : إنها لغة جميع الصور التى ليست فى أساسها

خصبا حرا freie Rede بل خطابا أعد وصيغت أفكار من قبل . وعلى العكس من ذلك ، فإن اللهجة هى لغة الحوار اليومى . إنها اللغة الدارجة بين المتعلمين والأميين . ومن الطبيعى أن تكون هناك انتقالات بين مجالات الاستخدام تلك ، وهى انتقالات تقع عن طريق التداخل المتبادل بين اللغة الفصيحة واللغة الدارجة . إن الخطاب الشفهى للطبقات العليا يضم عناصر من اللغة الفصيحة أكثر مما يضمه خطاب الطبقات الدنيا التى تنتمى إليها نسبة مئوية عالية جدا من الأميين . إن الناطقين بالعربية لا يأخذون أنفسهم فى خطاباتهم اليومية Alltagsrede ولا فى أحاديثهم العفوية الحرة in freie formulierter spontaner Rede بالنظام النحوى للغة الفصيحة . وقد أخذت أجهزة الاتصال الفنية فى الآونة الأخيرة فى طرح هذه القضية للبحث ؛ فاللقاءات ، والمؤتمرات الصحفية ، والمناقشات السياسية تجرى فيها بالخطاب الشفوى الحر ، حيثما يستوجب الموقف الرسمى استخدام اللغة الفصيحة (٣٩) .

(ثالثا) من ناحية أخـرى ينبغى أن نفرق بين اللغـة المشتركة Common Language وما يسمى باللغة المعيارية Standard Language ؛ فليست إحداهما مرادفة تماما للأخرى ، بالرغم مما يقع بينهما كثيرا من تداخل أو إحلال . لقد استخدم اصطلاح اللغة المعيارية – كما يقول هانز جلينتس Hans Glinz – منذ حوالى سبعين عاما على أنه اصطلاح محايد ، يحل غالبا محل الاصطلاح المعروف : اللغة الفصيحة .

ويعرف ييجر Jaeger اللغة المعيارية بأنها اللغة التى تستخدمها الطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة .

---

(٣٩) Fischer, Wolfdietrich / Jastrow, Otto, Handbuch der arabischen Dialekte, Otto Harrassowitz, Wiesbaden (1980) SS.20-21

ويرى جلينتس أن لاصطلاح اللغة المعيارية مزيّة معينة ؛ فاللغة المعيارية تضم الاستخدام المكتوب والاستخدام الشفهى معا ، وذلك على النقيض من الاصطلاح الآخر : لغة الكتابة ، التى نجدها فى الكتب المدرسية . من ناحية أخرى ، يرى جلينتس أن اصطلاح اللغة المعيارية ينأى عما تثيره كلمة (فصيحة أو عالية) التى قد يساء فهمها بين الناس على أنها الصيغة اللغوية الأعلى اجتماعيا .

وهكذا يريد جلينتس أن يجعل اللغة المعيارية مشتملة على اللغتين : المنطوقة والمكتوبة . يقول :

" وأنا أفهم من التسمية (اللغة المعيارية الألمانية المعاصرة) اللغة الألمانية المسموعة والمقروءة ، المنطوقة والمكتوبة اليوم ، مادامت هذه اللغة المعيارية مستخدمة استخداما عاما ، ومادامت غير مستخدمة فى صورتها العامية ، ومادامت غير مستخدمة على أنها مقيدة بطبقة خاصة " (٤٠) .

وتفرقة جلينتس السابقة بين اللغة المعيارية ولغة الكتابة أمر بديهى ؛ ذلك أن الأولى أوسع من الثانية كما نعرف . وهو يؤثر اصطلاح اللغة المعيارية على اللغة الفصيحة ، لاعتبارات ترتبط بالتسمية التى تطلق على اللغة الفصيحة فى الألمانية ، وهى Hochsprache ؛ فالترجمة الحرفية لهذه التسمية هى (اللغة العالية) بما قد يعلق بها من تمايز اجتماعى عن صيغة أخرى ، وهى إشكالية لاتعرفها العربية .

وينبغى هنا ملاحظة أن تعريف جلينتس للغة المعيارية – وهو التعريف الأشيع بين

(٤٠) Althaus, Peter / Henne, H., / Wiegand, H ., Ernst (Hrsg.), Lexikon der Germanistischen Linguistik, 2., Auflage, Max Niemeyer Verlag, Tuebingen (1980) SS.609-610

اللغويين المحدثين [٤١] - يسمح لها بأن تضم فى كنفها مفهوم (اللغة الموحدة) أو (اللغة المشتركة) التى تتجاوز عادة مؤثرات إقليمية محددة .

وإذا عدنا إلى التفرقة بين اللغة المشتركة واللغة المعيارية (وكلتاهما تشترك فى اشتمالها على صورة مكتوبة وصورة منطوقة) لاحظنا مايلى :-

(أ) أن اللغة المعيارية لغة مشتركة بالضرورة .

(ب) أن المعيار يتخذ من عصر معين من عصور اللغة ، وتقاس عليه الاستعمالات اللغوية فى عصور أخرى تالية .

(ج) أن اللغة المعيارية ترتبط ارتباطا أساسيا بالجانب القواعدى للغة ، كما يصفه النحاة ، بينما تطلق اللغة المشتركة - بجهة عامة - علي اللغة التي تتجاوز الخصائص اللهجية المحلية . وتكتسب هذه اللغة ميزة الشيوع والعمومية ، وإليها تدين اللغة المعيارية باستخلاص قواعدها المعيارية .

(د) أن اللغة المشتركة تمتلك أكثر من مستوى لغوى ، وتتفاوت هذه المستويات فيما بينها : اقترابا وابتعادا من المعيار .

(هـ) أنه فى إطار اللغة العربية ، بنيت العربية المعيارية (أو عربية النحاة) على أساس مادة القرآن الكريم والشعر القديم حتى عصر الاحتجاج . وهى عربية أدبية أو ذات طبيعية أدبية فنية . ومن هنا يصعب أن نجعلها اللغة المشتركة بين الناس آنذاك . إنها بالأحرى لغة الكتابة الأدبية التى يفهمها ويكتب بها سائر الشعراء ، وربما كانت مفهومة

---

(٤١) قارن مثلا : Schank / Sćhoenthal, op. cit., S14

عدد كثير من الناس ، ولكنهم لم يكونوا قادرين علي التخاطب بها ، ولم تكن لغة الحياة اليومية المتداولة بينهم فى شئونهم ومخاطباتهم غير الرسمية [٤٢] . والراجح أن اللغة المشتركة بهذا المفهوم الذى أشرنا إليه كانت ماعناه فيرجسون باللغة الوسطى Koine ، وهى لغة متجانسة نسبيا ، لاتضاهى لهجة بعينها من اللهجات القديمة ، وتختلف عن العربية الكلاسيكية أو عربية النحاة التى اتخذت المعيار المقبول للعربية المكتوبة والمنطوقة معا فى كثير من ظواهرها . وقد تطورت هذه اللغـــة إلى صيغة للمحادثة فى العربيـــة a conversational form of Arabic ، وانتشرت فى معظم أرجاء العالم الإسلامى منذ القرون الأولى من تاريخ المسلمين [٤٣].

وينبغى أن نشير هنا إلى أن اللغويين العرب القدماء – يتفقون فى ذلك مع أسلافهم النحاة الهنود القدماء – قد انصرفوا إلى وصف اللغة الأدبية المعيارية ، ولم يهتموا بالكلام الدارج vernacular المنطوق حولهم . لقد كان غرضهم – كما يقول فيرث Firth – هو الحفاظ على نقاء اللغة المقدسة sacred Language من أن يفسدها العامة ، ومن السهو والخطأ ، ليمكنوا الناس من النطق والكشف عن قدسية لغة القرآن الكريم وخلودها . وكـذلك كانت الحــــال مــع اللغة السنسكريتية . ويشير فيرث إلى أن هؤلاء الذين يعتقدون

---

(٤٢) يشير شانك / شونتال إلى أن اصطلاحى اللغة الدارجة Umgangssprache ولغة الحياة اليومية Alltagssprache يدخلان غالبا فى علاقة تخالف مع اصطلاح اللغة الفصيحة Hochsprache ، حيثما يكون للغتين الأوليين قيمة سلبية ، بمعنى أنهما انحراف عن اللغة الفصيحة :
Schank / Schoenthal, op. cit., S.15

(٤٣) Ferguson, op., pp. 616-617

بتعسفية المعياريات اللغوي arbitrary Linguistic standards والنقاء اللغوى كانوا حقا من مدرسة واحدة . ولذلك كانت نظرتهم إلى اللغة نظرة استاتيكية static [٤٤] .

ولانريد بالكلام السابق أن ننحو باللائمة على اللغويين والنحاة العرب القدماء ؛ فالنظرة إلى اللغة ومناهج البحث ترتبط – إلى حد بعيد – بظروف العصر وغايات اللغويين أنفسهم وفلسفتهم الخاصة فى التحليل اللغوى . وقد تغيرت هذه النظرة فى اللسانيات الحديثة تغيرا جذريا ، يظهره لنا تأكيد جون لاينز مثلا أنه لاتوجد معايير مطلقة للنقاء أو الصحة فى اللغة ... وأن لكل صيغة اجتماعية أو إقليمية فى اللغة معيارها الذى يختص بها من النقاء أو الصحة . ويفسح هذا التأكيد الطريق لوصف اللغات وصفا أكثر إقناعا [٤٥] . ويظهره لنا كذلك قوله :

" إن الشاغل الأول لعالم اللغة هو وصف طريقة الناس الراهنة فى نطق لغتهم وكتابتها ، من غير أن يفرض عليهم طريقة يلزمهم بها فى الكلام أو الكتابة . بعبارة أخرى : ينبغى أن يكون علم اللغة علما وصفيا descriptive لا علما افتراضيا prescriptive [٤٦].

(رابعا) ويستخلص من الفكرة السابقة كذلك أنه لاينبغى أن نخلط بين (لغة مكتوبة) و (لغة أدبية) . واللغة المكتوبة – فى غالب الأمر – كما يقول فندريس – عبارة عن اللغة المشتركة . أما اللغات الأدبية فتتميز عن هذه الأخيرة فى غالب الأحيان ؛ لأن

---

(٤٤) Firth, op. cit., p.147

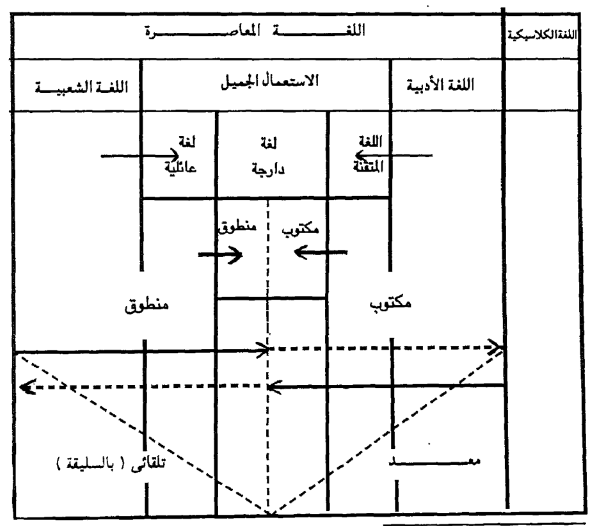
(٤٥) Lyons, op. cit., p.42

(٤٦) Lyons, op. cit., p.43

رجال الأدب فى كثير من الأقطار ، من شعراء وقصاص يكونون طبقة منعزلة لها تقاليدها وعوائدها وامتيازاتها . وفى هذه الحال كانت للغتهم كل خصائص اللغة الخاصة ، وكانت تتطلب تهيئة وترويضا وتثقيفا مهنيا [٤٧] .

إن اللغة المكتوبة لغة عامة أو مشتركة . وهى الوسيط فى الأحداث التبليغية بين جميع أولئك الذين يتكلمونها . وهى تمثل دائما - كما سبق أن ذكرنا - تقاليد وقواعد محافظة ، بينما تعد اللغة الأدبية لغة فنية خاصة ، تمتاز بسلطة مكوناتها الجمالية على الكلام . وهى أكثر ميلا إلى التطور والتجديد . والتطور فيها تطور داخلى ، أى رهين تفوقها على ذاتها ، بينما يرتبط فى اللغة المكتوبة او المشتركة بحاجات العصر ومتطلبات الحياة العملية .

وقد حاولت كوليت ستوورزى Colette Stourdze رسم العلاقة بين الشفرتين والتصنيف الطبقى للمستويات اللغوية من خلال الجدول التالى :-



---

(٤٧) فندريس : اللغة ، ص ٣٤٠ .

ونلاحظ من الجدول السابق أن مجالات اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة قد عممت ؛ لأن كلتا الشفرتين قد اشتملت علي جميع المستويات الطبقية للاستخدام اللغوى ، وقد أشير إليها بالأسهم وأشكال الخطوط ونقاط التماس والانفصال . وتبدو الجمل الشعبية عادة جملا منطوقة ، بينما تبدو الجمل الأدبية جملا مكتوبة . وتتداخل المستويات كما تتداخل الشفرات ، وهنا نلاحظ التفاعل بين المستوى العائلى والشفرة المنطوقة ، كما نجد تفاعلا بين المستوى المتقن والشفرة المكتوبة . ويصل التقابل الحاد بين الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة إلي قمته في اللغة الدارجة على وجه الخصوص .

ويذكرنا الجدول السابق بمحاولة بييرجيرو Pierre Guiraud تصنيف المستويات اللغوية Sprachregister (Sprachniveau=) = تصنيفا ثقافيا اجتماعيا إلى عدة طبقات على النحو التالى :-

مثقف .	" برجوازى"
عائلى	↑
شعبى	↓
دارج (مبتذل)	" شعبى "

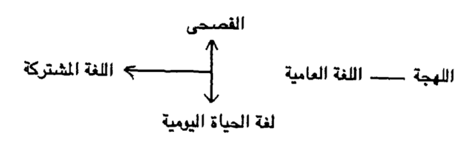
ولكننا نلاحظ كما أشار لودفج سول Ludwig Soell أن هذه المستويات غير كافية لوصف الفروق بين أنواع الشفرات [٤٨] .

ولاريب أن أشد صور اختلاف اللهجات عن اللغة الموحدة هى الاختلافات الصوتية ، وأقلها الاختلافات المعجمية والاختلافات الصرفية – النحوية . ومازالت اللغة العامية – على نحو مانجد في ألمانيا مثلا – تقوم بدور اللغة المنطوقة إلي حد كبير ، متفقة في ذلك مع

(٤٨) Soell, Ludwig, Gesprochenes und geshriebenes Franzoesisch, Erich Schmidt Verlag , 2 ., Auflage , Berlin (1980) SS 34-35

مادرج عليه المتكلمون فى المنطقة العربية فى المواقف الرسمية ، وإن كنا هنا فى غنى عن إبراز الفرق بين حال اللغة العامية هذه واللغة المنطوقة بمعناها الاصطلاحى الدقيق .

ولو أردنا النظر إلي العلاقة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة في ضوء ترسيمة ترير Trier التالية :-

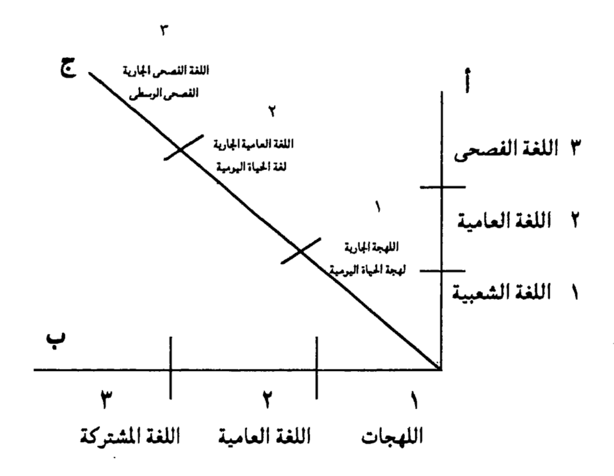


لرأينا أن اللغة العامية ليست هى اللغة الفصحى ولا لغة الحياة اليومية . وهى - فى الوقت نفسه - لايمكن أن تكون مساوية للغة المنطوقة أو اللغة المكتوبة ، مادامت اللغة الفصحى - قبل كل شىء - لغة مكتوبة ، ومادامت لغة الحياة اليومية لغة منطوقة فى أساسها (٤٩)

---

(٤٩) Soell , op. cit, SS.37-38 ويفرق هافرانيك Havranek ، داخل اللغة المنطوقة ، بين عدة وظائف مثل : الوظيفة التبليغية ، والوظيفة العملية التخصصية ، والوظيفة النظرية التخصصية (العلمية) ، والوظيفة الجمالية . وتبعاً لذلك يفرق بين أساليب الحياة اليومية (الأسلوب غير الرسمى) وأساليب العلوم والآداب . وينبغى - بناء على ذلك - أن يحتل أسلوب الحياة اليومية ، إذا راعينا التصنيف الوظيفى والأسلوبى للغة المنطوقة ، مركز الوسط (مراعين في ذلك أن هذا الأسلوب يبدو في صورة الديالوج عادة) : Soell , op. cit, S.38
،إذا اتفق على تقييد أسلوب الحياة اليومية بصورة الديالوج ، وجب علينا أن نكون علي حذر تام في اختيار نماذجنا ؛ فقد يكون النموذج مميزاً لأسلوب الحياة اليومية بالتقييد السابق ، كقولنا : أعطنى من فضلك هذا الشىء - لا ، هذا الشئ ، هنا ، فوق ، على اليمين . وقد يكون النموذج محايداً ، كقولنا : نفسد الجو علينا إجازتنا كاملة . فهذا النموذج الأخير محايد تماماً ؛ لأنه يمكن أن يكون منطوقاً ومكتوباً معاً

ويجعل هوجوموزر Hugo Moser تراتبية المستويات اللغوية في ثلاث مراتب علي نحو مانرى فى الشكل التالى :-



أ = التراكب الطبقى الاجتماعى الرأسى.

ب = الفصائل المكانية الأفقية .

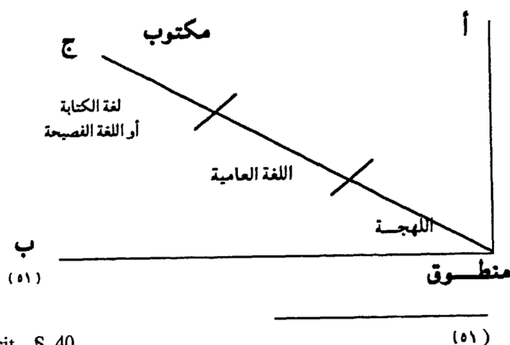
ج = المستويات الأسلوبية (٥٠) .

---

(٥٠) Moser, H., Umgangsprach, Ueberlegungen zu ihren Formen und ihrer Stellung im Sprachganzen , in : Zeitschrift fuer Mundartforschung 27 (1960) SS, 214 - 232 , S. 231

ونلاحظ أن الترسيمة السابقة تفتقر إلى النقطة (د) التى تختص بالأشكال الخاصة من الاستخدام اللغوى (كاللغات العلمية ، واللغات الخاصة) . ونلاحظ كذلك أن اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ليس لهما فى الترسيمة السابقة مكان . ولم يذكر موزر الاستخدام المكتوب الشائع إلا باعتباره علامة رئيسية على اللغة الفصحى . وقد رفض موزر مصطلح (لغة الكتابة) Schriftsprache ، وانتهى إلى أن اللغة العامية ، واللغة الشعبية ، تمثل كلتاهما – فى الأساس – لغات منطوقة .

وقد تعرضت الترسيمة السابقة على يد لودفج سول إلى شىء من التعديل ؛ لأن الأمر يدور حول بعد رباعى للشفرات . فإذا أردنا التعريف بالمنطوق والمكتوب ، على نحو ما فعل لغويون آخرون ، من أمثال كيلر R.E.Keller وسول Soell ، وجب – إذ ذاك – أن نكون على بينة من أن الأمر هنا أمر أفضلية (فاللهجة قبل المنطوق ، واللغة الفصيحة قبل المكتوب) :



---

(٥١) Soell, op. cit ., S 40

ويمكننا أن نجد تفصيلاً أشد للعلاقة بين اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة بإزاء المستويات اللغوية عند لغوى آخر ، هو ميخائيل جريجورى Michael Gregory . فقد عرف - فى بحثه التنوع اللهجى - بلهجات أخرى ، كاللهجات الجغرافية geographische Dialekte واللهجات الاجتماعية soziale Dialekte . ومع تمييز جريجورى بين اللهجات ، فإنه لم يميز تمييزا طبقيا واضحا بين الأنواع المختلفة من كل استخدام لغوى ، كما يستنتج من ترسيمته التالية :-

المقولات الموقفية	المقولات السياقية	الأمثلة
١ - الدور القصدى (الغائى)	مجال الخطاب	الإنجليزيةالتقنية
٢ - علاقة الوسط	شكل الخطاب	الإنجليزية المنطوقة
٣ - علاقة المخاطب	مضمون الخطاب	الإنجليزية المكتوبة
أ) شخصية	مضمون شخصى	الإنجليزية الرسمية
		الإنجليزية غير الرسمية
ب) وظيفية	مضمون وظيفى	الإنجليزية التعليمية

وتشتمل الشفرة الصوتية على حقل التكلم بأسره ، بينما لاتشتمل الشفرة المنطوقة إلا علي فرع التكلم التلقائى (ويدخل في ذلك الديالوج والمونولوج) . أما فرع التكلم بما هو مكتوب ، فيدخل فى الشفرة الصوتية والشفرة المكتوبة . أما التكلم بشىء وكأنه ليس مكتوباً ، فهو لايكون إلا شفرة صوتية + شفرة منطوقة . ويمثل القص (أو التسميع Reciting) حالة خاصة . ويدخل فى هذه الحالة - كما يذكر جريجورى - حكاية الأقاصيص ، وإنشاد الأشعار المتوارثة ونحوها ، أى مايدخل فى الموروث الشعرى الشفهى oral poetry بمعناه الواسع . ومادامت هذه الأشكال الشفهية غير مكتوبة

كتابة فعلية ، حتى وإن اعتمدت على أصول صيغت من قبل ، فإنها يمكن – من ناحية أخرى – أن تعد نوعاً من (التكلم بما هـــو مكتوب عقلياً Speaking of what is mentally written) (٥٢)

وإذا خصصنا الكلام مرة أخرى عن العربية ، لاحظنا أنها قد عرفت صورتها المنطوقة الحقيقية قبل عصر التدوين ، ممثلة فى تلقائية التكلم باللهجات المحكية وصفائها وخلوصها من التأثيرات المكتوبة . ومازال تأثير اللغة المنطوقة في العربية الفصيحة موجودا ، فيما تدلنا عليه – كما يشير سنجر Singer – نصوص العربية الوسطى وفي المراكز الحضرية المعاصرة (٥٣) . وليس فى منطلق سنجر تجاوز للحقيقة ؛ فقد اعتمدت العربية الكلاسيكية ذاتها على لهجات محكية كما نعرف ، ولم تكن أبدا لهجة جماعة واحدة أو منطقة واحدة ، ولذلك أسهمت العربية الكلاسيكية مرة أخرى في خلق لغة وسطى قديمة عن طريق صيغتها المكتوبة ، وهى الصيغة التى مازالت معروفة حتى يومنا هذا بالعربية المعيارية Modren Standard Arabic (=MSA) ، وهى لغة الأدب الحديث والنثر الصحفى والنثر المنطوق (٥٤) ومازالت هذه العربية المعيارية الحديثة تلقى من اللهجات المحكية أو اللغات الدارجة تأثيرات قوية قد تدل على بعض جوانبها بالنظر إلى أبنية الفعل مثلاً ' فقد " تعرضت بعض أبنية الفعل فى العربية المعيارية الحديثة إلى تطور

---

(٥٢) Soell, op. cit . S.41

(٥٣) Singer, Hans - Rudolf, Der neuarabische Sprachraum, in : Grundriss der arabischen Philologie, Bd. 1, hrsg. von : Wolfdietrich Fischer Wies baden (1982) S.117

(٥٤) Mitchell, T.,F., Educated Spoken Arabic in Egypt and the Levant with special refernce to Participle and Tense , in : J. Linguistics14, Great Britain (1979) pp.227-258,p.227

نتج عن تأثير اللغات الدارجة ، ومن ذلك فقدان همزة التعدية في صيغة (أفعل) ، بتأتي في صيغة (فعل) - مزيدة أو مجردة - مسبوقة بالفعل (جعل) ، نحو : جعله ينظر ، جعله يتأخر ، جعله يضحك " [٥٥] . كذلك ، فقد نري أثر اللغة الدارجة في كثرة استخدام الصيغتين (انفعل) و (تفعل) فى العربية الفصحى المعاصرة علي غرارنظائرهما فى اللغة الدارجة ، لتدل على البناء للمجهول ، نحو : انزرع ، انبنى ، تأمن ، تعرى ... الخ [٥٦].

وهذا نوع من التبادل اللغوى المتوقع دائما بين المستويات المختلفة للغة بعينها ، وله نظائره فى اللغات كلها. ولعل هذه التأثيرات الدارجة فى العربية المعيارية أقل تصادما - كما يقول هانزفير Hans Wehr - مع روح العربية من هذا الحشد الهائل من المفردات والتعبيرات اللغوية الأوروبية التى دخلت العربية المعاصرة [٥٧] .

ومن المهم في المنطقةالعربية بحث الظروف التى تخضع لها مجالات استخدام العربية الفصيحة واللهجة . ويشير فرنـــر ديم Werner Diem إلى ظرفين اثنين رئيسين :-

(أولهما) أن اللهجة تعد اللغة المنطوقة في الأساس ، بينما تعد العربية الفصيحة اللغة المكتوبة فى حقيقة الأمر .

---

(٥٥) Kropfitsch, Lorenz , Semantische Tendenzen im Neuhocharabischen in :ZAL , Heft 5, Otto Harrassowitz , Wiesbaden (1979) SS118-136,S.119

(٥٦) Kropfitsch, op. cit ., S120.

(٥٧) Wehr, Hans , Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart , ZDMG , Bd. 97 , Heft 1 Leipzig (1949) . SS. 16 - 46 , S34

(والآخر) أن العربية الفصيحة تحظى بمنزلة واعتبار أكبر مما تحظى به اللهجة Prestige .

وينتج مما سبق أن اللهجة - لمكانتها الضئيلة - لاتستطيع أن تحل محل اللغة الفصيحة فى الكتابة . وليس العكس صحيحاً مع الكلام ؛ فاللهجة لاتصلح لجميع مواقف الكلام Sprechsituationen أو لاتناسبها ، ذلك أن المواقف الأكثر رسمية تناسبها اللغة الفصيحة الأعلى مكانة (٥٨) .

---

(٥٨) Diem, Werner, Hochsprache und Dialekt im Arabischen, Wiesbaden (1974) S35.

المبحث الخامس

مفهوم اللغة المنطوقة

مفهوم اللغة المنطوقة

ونبادر هنا إلى القول بأننا لانعنى باللغة المنطوقة ما يقابل لغة الكتابة (أو اللغة الفصيحة بالنظر إلى مسألة المستويات) ، أى اللهجات المحكية ، وإنما نعنى بها الشكل المنطوق للغة الكتابة . فالتفرقة هنا ليست تفرقة بين مستويات لغوية ، وإنما هى تفرقة بين هيئتين للخطاب بلغة واحدة . وهذا هو المفهوم العلمى فى البحوث المتخصصة فى اللغة المنطوقة فى اللسانيات الحديثة .

ويعرف شانك / شونتال اللغة المنطوقة بأنها الكلام التلقائى المصوغ صياغة حرة فى مواقف تبليغية طبيعية . إنها إذن اللغة بمعنى الاستخدام اللغوى لا النظام اللغوى . ويستعمل مصطلح (الموقف التبليغى Kommunikationssituation) مرادفا لموقف الكلام Sprechsituation . ويندرج تحت الموقف التبليغى الموقف الاجتماعى soziale Situation الذى يصنعه شخصان على الأقل ، يشتركان فى أفعال شفهية محددة ، فى نوع من التفاعل المركز entrierte Interaktionz والتفاعل المركز هذا يعنى – كما يشير جوفمان Goffman – توجه اهتمام المشتركين فى الكلام مرارا إلى شئ أو موضوع بعينه (٥٩) .

أما الموقف الاجتماعى ، فيعنى موقفا تصدر فيه عن شخص أو عدة أشخاص سلوكيات ومعاملات اجتماعية : قلت أو كثرت .

ويخرج عن حد اللغة المنطوقة على النحو السابق ، اللغة المفتعلة أو التى يداخلها

(٥٩ hank / . hoenthal , op. cit ., S. 7, Goffman , op. cit ., S.84

التكلف simulierte . وتخرج عن حدها كذلك اللغة المتخيلة fiktive واللغة المقروءة rezitierte ، واللغة المنطوقة التى تعنى التربية اللغوية (أى التدريب على النطق المعيارى ، والتلفظ تبعا للإقليم ، أو اللغة الفصيحة ، باختصار : بمعنى النطق الفصيح للغة بعينها Buehnensprache) .

ويمكن التعرف على العلامات المميزة للغة المنطوقة الحقيقية بمقابلتها باللغة المنطوقة التى تحرر بها المنشورات (أى مايصدر أو ينشر من مجلات وكتب وغيرها من الأعمال المنشورة) وباللغة المكتوبة . ونلاحظ هنا أن هذه الأشكال الثلاثة من اللغة تختلف فيما بينها باختلاف شروط إنتاج كل شكل منها وكيفية تشكله وتكوينه [٦٠] .

وقد مثل شانك / شونتال للشكل الأول بحوار بين ثلاثة متحاورين ، كانا قد سجلاه ثم أعادا كتابته دون تدخل فى الصياغة . وكانت ملحوظاتهما على هذا الشكل مايلى :-

(أ) لم تكتمل بعض الجمل إلى آخرها .

(ب) تبدأ أكثر الجمل بحرف العطف und (وقد قارنت ذلك بحوارات باللغة العربية ولاحظت توالى الجمل المعطوفة بالواو أيضا) .

(ج) التعبير اللغوى (أو الإنشاء) أقصر نسبيا مما نجده فى الشكل الثانى التالى (وهو عبارة عن حوار منشور فى كتاب تعرض لمقتضيات التحرير) .

(د) كثيرا مايتناوب المتكلمون الحوار .

(هـ) يتحدث أكثر من شخص أحيانا فى وقت واحد .

---

(٦٠) Schank / Schoenthal, op. cit.,

(و) اشتمل نص الحوار على مايعرف فى بحوث اللغة المنطوقة وعلم اللغة النصى باسم (الأدوات اللغوية المؤكدة Abtoenungspartikel)[٦١]

(ز) يحتك المتحدثون أحدهم بالآخر عن طريق الخطاب المباشر .

(ح) لايمكننا تحديد معنى بعض التعبيرات إذا نظرنا إليها على أنها وحدات معجمية لاغير .

أماالشكل الثانى ، فيمثله حوار منشور فى كتاب . وقد خضع هذا الحوار لمقتضيات التحرير . فهو إذن حوار محرر . وتتلخص الملحوظات التى سجلت على هذا الشكل فيما يلى :-

(أ) اختصر النص الإجمالى شيئا ما .

(ب) اكتملت هنا الجمل التى جاءت نظائرها فى الشكل السابق ناقصة .

(ج) يسقط حرف العطف und (فى النماذج العربية : الواو) أول الجملة . وتستخدم هنا ضروب أخرى من الروابط ، نحو : بالإضافة إلى ، فضلا عن ذلك .. الخ .

(د) حذفت العلامات التى تدل على التجزئة Segmentierung[٦٢].

(هـ) تبدو التعبيرات اللغوية أطول نسبيا من الشكل السابق .

---

(٦١) والأدوات المؤكدة تعنى هنا كلمات صغيرة جامدة تحدد موقف المتكلم مما يقال أمامه . هذه الكلمات الصغيرة قد لاتكون إجابة عن سؤال ، وقد لاتتصدر الجملة . وهى تتعلق بفحوى الجملة كاملة . إنها تندمج فى الجملة وتتكامل معها . وقد تتغير دلالاتها بتغير مواقعها التركيبية وتغير نبرها . ويمكننا أ- نضرب على هذه الأدوات مثالا بكلمات نحو : حقا ، فعلا ، هو هذا ، لابأس .. إلخ .

(٦٢) والتجزئة هنا بمعنى الطريقة المتبعة فى الفصل بين الكلمات أو الجمل بالعلامات المعروفة [illegible] المكتوبة ، كالنقط والفواصل ونحوها .

(و) يبدو تغير المتكلمين وتناوبهم الحوار هنا أقل من الشكل السابق .

(ز) لانجد أكثر من متحدث واحد فى وقت واحد .

(ح) حذفت بعض الأدوات المؤكدة التى احتوى عليها الشكل السابق .

(ط) احتفظ هنا بشكل الخطاب .

(ى) نفتقد هنا إلى من يدير الحوار .

(ك) حذفت التعبيرات التى لايمكن تفسيرها وتحديد معانيها فى حدود كونها وحدات معجمية فحسب .

أما الشكل الثالث ، فيمثله نص محرر (فى جريدة مثلا) يحكى المعلومات التى وردت فى الحوار ، أى تتحول فيه المعلومات التى احتوى عليها الحوار إلى خبر . ويلاحظ على هذا الشكل مايلى :-

(أ) اختصر النص الإجمالى للحوار اختصارا شديدا .

(ب) بدت الجمل هنا مركبة نسبيا .

(ج) تلاشى تغير المتكلمين .

(د) تحول الخطاب المباشر إلى خطاب غير مباشر .

(هـ) نتج عن كل ذلك انتفاء خاصية المخاطبة أو المحادثة Anrede .

(و) أسقطت الأدوات المؤكدة ، فهى من العلامات المميزة للتعليقات العفوية Kommentare قبل أن تكون مميزة للأخبار Nachrichten .

ويصف شانك / شونتال ماسبق من ملحوظات على أشكال النصوص الثلاثة بعضها بإزا .

الأخرى الصياغة الجدولية التالية :-

	نص ١	نص ٢	نص ٣
مستوى الاحتكاك	عناصر تبين حالة الاحتكاك وبقائه كالمحادثة	عناصر أقل تظهر حالة الاحتكاك وبقائه	لاتوجد أى عناصر تدل على هذا الاحتكاك
طول التعبيرات المفردة	أقصر نسبيا	أطول نسبيا	أقربها إلى الطول
بنية الجملة	غير محكمة غالبا	محكمة النظم	محكمة النظم
الربط بين الجمل	توالى الربط بالحرف und (= الواو فى العربية)	الربط بأدوات متغيرة	الربط بأدوات متغيرة
الأدوات المؤكدة	متكررة	موجودة	ممكنة (٦٣)

فى ضوء هذه المقارنة يمكننا مبدئيا أن نكمل تعرفنا على اللغة المنطوقة بمعاونة علاماتها المميزة التالية :-

(١) أنها لغة تشتمل على عناصر حوارية ظاهرة تدل على الاحتكاك والاتصال بين المتكلمين ، وتدل كذلك على تغيرهؤلاء المتكلمين ، وتناوبهم ، نحو : المحادثة .

(ب) أنها لغة تميل عادة إلى استخدام جمل غير محكمة النظم .

(٦٣) Schank / Schoenthal , op . cit ., SS. 8-10

(ج) يشيع فى اللغة المنطوقة استخدام الأدوات المؤكدة التى تدل على التفاعل اللغوى المباشر ورد الفعل التلقائى .

(د) العطف فى اللغة المنطوقة بين جمل قصيرة وثانوية أكثر شيوعا منه فى الأشكال الأخرى .

فإذا ما تغير نمط اللغة المنطوقة المألوفة على النحو السابق ، وتعرضت لمقتضيات التحرير ، وتعديل الصياغة ، على نحو ما نعرفها مثلا فى المقابلات الصحفية ، اكتسبت السمات والخصائص التالية :-

(أ) إنقاص العناصر الديالوجية .

(ب) مع الاحتفاظ بالحد الأدنى لصورة الديالوج .

(ج) استبعاد التعبيرات غير محكمة النظم .

(د) الميل إلى التخفف من الحشو والفضلات الكلامية Redundanz.

(هـ) تنوع الروابط بين الجمل .

(و) الإعداد الأسلوبى وفقا لمعايير أسلوبية يخضع لها النص المنشور [٦٤] .

---

(٦٤) Schank / Schoenthal , op . cit ., SS. 10-11

المبحث السادس

اللغة المنطوقة و الموقف التبليغي

اللغة المنطوقة والموقف التبليغى

رأينا أن الإحاطة بالموقف التبليغى (و ما يندرج تحته من موقف اجتماعى) تمثل ركنا أساسيا فى مفهومنا للغة المنطوقة . و قد تناول الموقف (أو السياق ، وإن كان الموقف هنا أكثر ارتباطا بالمكون الكلامى داخل الموقف الاجتماعى) غير واحد من اللغويين المحدثين ، على إختلاف اتجاهاتهم ، وذلك فى إطار تأكيدهم للوظيفة الاجتماعية للغة . يقول بلومفيلد مثلا:

" إن معنى الصيغة هو الموقف Situation الذى ينطق فيه المتكلم هذه الصيغة والاستجابة Response التى تتولد لدى المستمع . و يرتبط موقف المتكلم واستجابة المستمع أحدهما بالآخر ارتباطا وثيقا .. إن الموقف الذى يسمح لنا بنطق صيغة لغوية ، يتنوع تنوعاً كبيرا . و يخبرنا الفلاسفة بأن الحقيقة هى أنه لايوجد موقفان متشابهان تشابهاً تاما " (٦٥) .

ويؤكد فيرث أنه ينبغى أن يهتم عالم اللغة اهتماما أساسيا بالنسق الفعلى لسياق الموقف Verbal Process in the Con . of Sit . و ليس للغة – من وجهة نظر فيرث – أهمية إلا فى سياقها الموقفى (٦٦) . و الكلام – كما يقول فيرث – شىء ديناميكى ، ذلك أنه نشاط شخصى و اجتماعى ، يتفاعل مع قوى أخرى فى موقف بعينه (٦٧) .

و إذا كانت هذه هى سمة الكلام ، فإن الخاصية الأولى للموقف التبليغى هى كذلك

---

(٦٥) Bloomfield , op .cit., pp . 139-140

(٦٦) Coulthard, op . cit ., p,1

(٦٧) Firth , op . cit ., 16 .,

خاصية الديناميكية ، كما يقول دجك T.A.Van Dijk. فالموقف ليس حالة ممكنة من حالات العالم فحسب Possible world - state ، و لكنه متوالية من الحالات . فالمواقف التبليغية لاتظل متشابهة عبر االزمن ، و لكنها متغيرة . من هنا عرف الموقف التبليغى بأنه متوالية من الأحداث Course of events . ويشير فان دجك إلى مايسمى بالسياق الراهن actual Context . وهو السياق الممكن فى حالة محددة . وهو يتحدد بجزء من الزمان والمكان اللذين تتحقق فيهما النشاطات المشتركة بين المتكم والمستمع اللذين يحددان خواص الـ (هنا) و الـ (الآن) : منطقا ، وفيزيقيا ، ومعرفيا . إن الموقف التبليغى يتغير من لحظة إلى أخرى . و يمس هذا التغير الموقفى موضوعات الكلام فى حالات الموقف المتوالية (٦٨) .

يحتوى الموقف التبليغـى إذن علـى عدة مكونات ، هى : المكان ، والزمـان ، والمتكلم ، والمستمع ، والموضوع . و يكتمل الموقف التبليغى بالموقف الاجتماعى الذى يكون بدوره حديثا قصيرا بين أقارب ، أو حديثا غير رسمى ، أو مقابلة ، أو محاضرة أمام أناس غير معروفين عند المتكلم ، يطرحون عليه احيانا بعض تساؤلاتهم .

يلاحظ المتأمل أن بحوث اللغة المنطوقة قد أكسبت البحث فى الموقف التبليغى ونظرية السياق بعامة Contex-Theory ، بعدا جديدا ، حين ركزت على وصف المواقف الاجتماعية و بيان أهميتها للعملية التبليغيةkummunikatives Handeln . ولعل خير رصد للعلامات المميزة للمواقف و مايصحبها من آثار فى العملية التبليغية

---

(٦٨) Van Dijk , T.,Text and Context, Explorations in the Semantics and pregmatics of Discourse, Longman, London and New York (1977) p. 191-192.

مانجده عند شانك / شونتال . و قد عرفت هذه العلامات بأهميتها و بحثت من جوانب موضوعية متعددة ، نوجزها فيما يلى : -

(١) عدد المشتركين

و هو على الأقل شخصان . فطبقا للطبيعة الحوارية للغة المنطوقة يشترك فى الكلام عادة متحدثان . و قد لايشارك أحدهما مشاركة فعلية ، كالمستمع للمحاضرة . وربما توفرت لأحد المشتركين فى الحديث إمكانية الاستجابة للعملية التبليغية ، كما هى الحال فى (الريبورتاج) .

(٢) العلاقة بين المشتركين

و هى تضم العناصر الرئيسية التالية : -

(أ) العمر: أى الفروق السنية بين المشتركين فى العملية التبليغية . و هى فروق ينبغى مراعاتها جيدا عند وصف الموقف الكلامى ، لاسيما إذا كان المشتركون من أجناس مختلفة .

مثال : طفل - شرطى ، طالبة - جد .

(ب) التعليم : إذ تعد درجة التعليم فى ذاتها مهمة عند المشتركين فى الحديث ، وكذلك الفروق النوعية بين المتعلمين .

(ج) درجة التعارف : كالتى بين أم و ابنتها ، أو بين أقارب ، أو زملاء فى مهنة ، أو زبائن فى محل جزارة ، أو مارة فى الطريق . وفى هذه الأمثلة درجات متفاوتة من الإلف : من الغرابة الكاملة حتى الإلف الكامل . و قد تكون العلاقة ناتجة عن علاقة غير مباشرة ، على نحو ما يكون بين مواطن بسيط و شخصية مشهورة ، كدبلوماسى أو عالم أو ممثل .

(د) تكرار الأحداث التبليغية : و يهمنا هنا المدة الزمنية التى يدوم فيها التبليغ من ناحية ، وتكرار التبليغ و كثافته من ناحية أخرى .

(هـ) المعرفة السابقة بالعملية التبليغية : وترتبط هذه العلامة المميزة بالعلامتين (ج) و (د) . وهى ترتبط كذلك بوقوع عناصر غير فعلية (مثل أسماء الاشارة) فى الحدث التبليغى لتشير إلى ما هو معروف من قبل .

(و) وجوه العلاقات المكانية والجسمانية بين المشتركين فى العملية التبليغية . ويدور هذا الأمر حول التصور الإنسانى واستغلال الأبعاد المكانية الفعلية . و هنا ينبغى علينا أن نلاحظ الحركة الجسمية العالمية ، و اتجاه التفاعل بين المشتركين فى الحديث ، وحركة الأذرع و الركبتين ....الخ . و ينبغى علينا من ناحية أخرى أن نلاحظ علاقة حركة الجسم بالصيغة اللغوية ، و تبادل النظرات ، و الإحساس بالدفء أو الاحساس بالروائح ، و حدة الصوت .

وغنى عن البيان أن هذه العلامات المميزة ليست علامات مطلقة ، وإنما هى – فى حقيقة الأمر – علامات ترتبط بالموقف التبليغى و اختلافه من حال إلى حال .

(ز) توزيع الادوار : و من المهم هنا أن نلاحظ أثر المكانة والوضع الاجتماعى (أو الامتيازات الاجتماعية) لأحد المشتركين فى الحديث ، إذ يلاحظ أن الاشتراك فى موقف بعينه يرتبط بمنزلة الفرد ووضعه الاجتماعى : فهناك أناس لاتجرى معهم مقابلات بأى حال ، كما أن بعضهم ليست لديهم الاستعدادات للمقابلة .

(٣) الوسيط التبليغى

ويرتبط الوسيط التبليغى بالتفاعل وجها لوجه ، أو بالمحادثات التليفونية ، أو بالتبليغ

عن طريق الراديو أو التليفزيون ، باعتبارهما الوسائط الأشيع .

(٤)مكان التبليغ

و لايهم هنا التحديد الإقليمى لمكان التبليغ ، ولكن يعنينا التحديد المكانى بمعنى الأماكن الاجتماعية ، مثل : الحانة ، و الشارع ، و المكتب ، و غرفة الكشف الطبى ، ودور العبادة ، و حجرة الدراسة أو حتى دورة المياه .

فضلا عن ذلك ، ينبغى علينا أن نميز بين كون المكان قد اختير اختيارا عشوائيا أو اختير عن تدبير و قصد ، و كونه مكانا محايدا أو غير محايد ، بمعنى أهميته الاجتماعية عند المشترك فى الحديث و أهميته لموضوع الحديث أيضا .

(٥) زمان وقوع الحدث التبليغى ومدته

وينبغى علينا هنا أن نفرق بين كون المقابلة مقصودة أم وقعت مصادفة . وهناك عدة أنواع من المواقف التبليغية التى نألف تقيدها بمدة محددة . و من أجل ذلك يمكن أن نصنف المواقف التبليغية تبعا لتفاوتها فى المدة التى تستغرقها (أقصر ، متوسطة ، أطول) .

و قد بات مقبولا القول أن للمدة المتوقعة تأثيرها فيأسلوب التفاعل Interak-tionsstil بين المشاركين فى العملية التبليغية . ففى مواقف النجدة مثلا تختزل العملية التبليغية بين المشاركين اختزالا شديدا . و فى حالات أخرى ، يؤثر إعياء المشاركين فى الموقف التبليغى فى لحظة ما تأثيرا ملحوظا فى نتائج المشاركة .

(٦) إخراج المواقف التبليغية

يجب - كما فعل جوفمان Goffmann [٦٩] - أن نفرق بين المواقف التبليغية التى تخضع للإخراج والمواقف الأخرى التى لاتخضع له . أما الأولى فنقصد بها المواقف التى تخضع لتشكيل مكونات الموقف التبليغى تشكيلا بسيطا أو لافتا . فإخراج الموقف يعكس مسبباته . و يتناول إخراج الموقف مكونات مختلفة ، منها :-

(أ) اختيار نظام الجلسة للمشاركين .

(ب) طرح موضوعات بعينها وتجنب الحديث فى موضوعات أخرى

و بوجه عام ، نتوقع أن يكون الحدث التبليغى قد تعرض للإخراج ، إذا كان قد صدر عن التخطيط لاشتراك أشخاص بذواتهم ، أى أن الإخراج أو التدبير يكون لخدمة تقصى اهتمامات محددة وتتبعها .

(٧) التلقائية

ويرتبط مفهوم التلقائية هنا بدرجة العلم أو المعرفة بالعملية التبليغية والإعداد لها . ويمتد الإعداد إلى النتائج المضمونيـــة المحتملـــة ، كما يمتد إلى العناية بالتشكيل اللغوى sprachliche Formulierung . و هنا يمكن أن نجعل مفهوم (القصدى) مقابلا لمفهوم (التلقائى) .

(٨) مقاصد المشاركين فى العملية التبليغية

ونعنى بهذه المقاصد الأفعال المقصودة الموجهة إلى هدف بعينه . ففى حدث تبليغى

(٦٩) Goffmann , E. , Das Individuum im oeffenthctichen Austausch , Mikrostudien zur oeffentlichen Ordnung , Frankfurt (1974) S.409

أو حالة خطابية معينة Redekonstellation ، حددت مدة التفاعل وجها لوجه فيها واتفق عليها ، يمكن أن تمد فترة أخرى محددة نسبيا . و يسمى المقصد الذى يضم فى كنفه الحدث التبليغى بأسره باسم (المقصد الإجمالى) . و هنا نطرح سؤالاً : هل يمكن أن ننطلق من مقصد إجمالى واحد ، أم ينبغى أن نجعل لكل مشترك فى العملية التبليغية مقصده الإجمالى الذى يخصه ؟ . و مازالت العلاقة فى الحالة الثانية مفتقرة إلى توضيح : فهى علاقة التكامل بين المقاصد الإجمالية . و ربما كانت علاقه التقابل أو التضــــاد التام (على نحو مانجد فى مناظرات الجدل و الخصومة) .

ويمكننا أن نميز فى الحدث التبليغى بين حالة البداية (A =) Ausgangszustald و حالة الهدف Zielzustand (Z=). ويبنى المقصد الإجمالى على أساس الانتقال من الحالة (A) إلى الحالة (Z) .

فى ضوء ما سبق ، نستطيع أن ننظر إلى الحدث التبليغى من زاويتين اثنتين : –

(إحداهما) هى النظر إلى الحدث التبليغى باعتباره كلا ، يتحلل إلى وحداته الجزئية وتسمى هذه الوحدات باسم (المقاصد الجزئية) . فإذا كان المقصد الإجمالى عند مريض متردد على العيادة هو أمله فى استرداد صحته ، فإن مقصده الجزئى هو الاستفسار من الطبيب المعالج عن الأعراض المرضية ، أو التخلص من الآلام أو الاستعلام عن المدة التى يحتمل أن يستغرقها هذا المرض .

(والأخرى) هى النظر إلى الحدث التبليغى على أنه وحدة جزئية من (كل) ، حيثما يتضمن (الكل) خطة طويلة الأمد ، كإجراء محادثة فى إطار محادثات أو مفاوضات استغرقت أسبوعا .

(٩) الجانب الموضوعى

فاختيار موضوعات التبليغ مما يتوافق ويتكامل مع العوامل المذكورة آنفا . وبالرغم من أن للموضوع أهمية كبرى فى العمليات اللغوية ، فإن البحث فى هذه المسألة مازال فى بدايته . إن تحديد الموضوع – أو الموضوعات – ليس بالضرورة جزءاً من عملية التفاعل فقد يعالج الموضوع فى أحاديث قصيرة يعنى بها – فى المقام الأول – فى دراسة الاحتكاك الاجتماعى . و يحتم الموقف التبليغى – فى حالات كثيرة – السكوت عن موضوع ما والانتقال إلى موضوع آخر

(١٠) معالجة الموضوع

عند التعبير عن المقصد تعبيرا مضمونيا تتبع استراتيجيات متفاوتة تجمع بين إنجـاز المقاصد الإجمالية والمقاصد الجزئية . ولكل استراتيجية أدواتها ووسائلها المنطقية ، كالمعالجة بواسطة التشارك **Assoziation** أو بواسطة الوصف **Description** أو بواسطة إقامة الحجة و الاستدلال **Argumentation** .

و يؤثر نوع المعالجة تأثيرا جزئيا فى كيفية إنجاز المضمون ، على نحو ما نجد مثلا فى (الإعلان) :

– فالمقصد هنا هو الإقناع بـ (الضرورة الحيوية) لبضائع استهلاكية بعينها .

– والوسيلة المختارة هى الوصف ، نحو : لحم صاف ، من غير إضافات نباتية ..وقد نصف – فى مثال آخر – فتاة بأنها : ممشوقة القوام ، ذات معدن أصيل ...

– و الاستدلال أو إقامة الحجة نحو قولنا : الورد نظيف حتى إننا لا نرى أحدا يغسل يده بعد لمسه ! .

و ترتبط درجة الإنجاز هنا كذلك بدرجة تناول عناصر الموقف الخارجي ، وهو ما نذكره في العلامة المميزة التالية .

(١١) علاقة الموضوع بالموقف الخارجي زمنيا

من الأمور النمطية المألوفة مع (الريبورتاج) أن إنجازه يكون موازيا للحدث الذي يدور حوله . ويعني هذا أن موضوع التفاعل يتزامن ولحظة الكلام . وربما وجدنا مثالا مناسبا على ذلك في التعليق على مباراة كرة في الوقت نفسه الذي تلعب فيه هذه المباراة .

بالإضافة إلى ماسبق ، هناك إمكانيات أخرى لعلاقة الموضوع بالموقف الخارجي زمنيا ؛ كالحديث عن موضوع يسبق زمنه ، أو موضوع فات أوانه ، فضلا عن حدوث الكلام في زمنه .ويمكننا أن نضيف إلى كل ماسبق طريقة أخرى لمعالجة الموضوع ، هي المعالجة التي لا ترتبط بالزمان الذي تنتج فيه ، نحو قولنا مثلا : فرايبورج مدينة جميلة ! .

(١٢) العلاقة بين الموضوع و المتكلم

ويعنينا هنا على وجه الخصوص ثلاثة أمور :-

(**أولها**) أهمية المتكلم في الموضوع : وهنا ينبغي تصنيف الموضوعات تبعا لتحليل وجهة النظر **Einstellungsanalyse** ، كأن نقول مثلا : هذا موضوع مستحب ، وهذا موضوع غير مقبول اجتماعيا ، وهذا موضوع لا يروق النفس .

(**وثانيها**) استعداد المتكلم للموضوع : ونجد للاستعداد درجات مختلفة ، نحو : غير مستعد ــ مستعد استعدادا روتينيا ــ مستعد استعدادا خاصا .

(وثالثها) معرفة المتكلم السابقة : وهنا تتقرر درجة معرفة المتكلم الخاصة بالموضوع .

(١٣) تحديد الموضوع

عند بداية التفاعل قد يتفق على الموضوع وقد لا يتفق . والحالة الأولى مألوفة في المؤتمرات والندوات والمناقشات التليفزيونية . وغالبا ما يعد تحديد الموضوع – أو عدة موضوعات – جزءا من الحدث التبليغى ذاته ، كالموافقة على جدول أعمال الجلسة العامة لمجلس الشورى ! .

(١٤) درجة العلانية

ترتبط درجة العلانية بمدى صراحة المتكلم – أو المتكلمين – مع المشتركين في الخطاب .

وتتبدى صراحة أحد المشتركين فى هذا الخطاب بمصادرة مشاركة شخص آخر . و هذا ما يحدث مثلا فى جلسة سرية (غير علنية) تعقدها المحكمة . و قد يكون الحدث التبليغى علنيا فى البث التليفزيون أو الإذاعى .

(١٥)ألفةالموقف

و نعنى بها المشاركة المتكررة فى مواقف اجمتاعية مختلفة ، تمد المشارك بمعرفة معايير التصرف فى موقف اجتماعى ما : فرجل السياسة مثلا اعتاد الكلام علانية حتى ألفه جدا . و الامر كذلك مع الطبيب ، أو الموظفة فى مكتب للسفريات ، فهما قد اعتادا التحدث مع أناس غرباء .

و هناك حالات أخرى تنخفض فيها درجة ألفة الموقف ، مثل موقف مواطن يمثل

أمام لجنة المحكمة لأول مرة .

على أية حال ، فلا يشترط بالضرورة أن يكون الموقف مألوفا عند المشارك . و هذه هى الحال مع العلامة الأخيرة التالية من العلامات المميزة للموقف التبليغى .

(١٦) تفاوت الموقف

ويبنى التفاوت فى الموقف على أساس المألوف أو المتوقع فى مواقف بعينها . بعبارة أخرى : يبنى هذا التفاوت على أساس الوعى السابق بالنتائج المحتملة لمواقف اجتماعية محددة . و مثال ذلك أن الممتحن إذا ما أدرك - بعد رهبة - أنه اجتاز امتحانه التحريرى بتفوق ، اختلف موقفه من الامتحان الشفهى ، إذ تزول عنه الرهبة و الخوف المعتاد (٧٠) .

و الحق أن ثراء المواقف الاجتماعية المصاحبة للأحداث التبليغية وديناميكيتها ، مما يفتح الباب لأن نستدرك على شانك / شونتال علامات جديدة ، لم تلق منهما العناية الواجبة . و من هذه العلامات مثلاً ما تدلنا عليه (التقريبية Proxémique)وهى فرع من فروع علم السيميولوجيا Semiology ، نحو المسافة بين المرسل والمتلقى . فقد لوحظ أن المسافة التى نحتفظ بها بيننا وبين محدثنا ، و المكان الذى نحتله فى مجلس الرفقة ، أو حول طاولة .. الخ ، هى علامات تدل على وضعنا الاجتماعى . ومن الطريف أن نشير هنا إلى دراسة هول E.T.Hall (الكلام الصامت Silent Language) التى حاول فيها تحديد ثمانى مسافات دالة بين متحدثين أمريكيين على النحو التالى : -

١- متقارب جدا : همس خفيف / سرى جدا .

(من ١٥ - ٢٠ سم)

(٧٠) Schank / Schoenthal , op . cit., SS.. 29-36

٢ – متقارب : همس مسموع / حميم .

(من ٢٠-٣٠ سم)

٣ – مجاور : فى الداخل ، صوت منخفض / حميم فى الخارج ، ملء الصوت .

(من ٣٠-٥٠سم)

٤ – حيادى : صوت خفيض ، مدى ضعيف / موضوع شخصى .

(من ٥٠- ٩٠ سم)

٥ – حيادى : ملء الصوت / موضوع غير شخصى .

(من ٣٠و١ م- ٥٠و١م)

٦- مسافة عامة : ملء الصوت / معلومات عامة مؤداة ، و بفخامة خفيفة / الحديث إلى فريق أو مجموعة .

(من ٦٠و١-٤٠و٢م)

٧- عبر الغرفة : صوت عال / يسمعه غير المتحدث معه :

(من ٤٠و٢ – ٦ م)

٨- بما يتجاوز الحدود : صوت عال/ تحيات من بعيد ، رحيل ..الخ :

(من ٦ م –٣٠ م) [٧١]

و لاشك أن طبيعة الموضوع و مقاصد المشتركين فى المحادثة مما يؤثر تأثيرا

(٧١) بيار غيرو : السيمياء ، ترجمة أنطوان أبى زيد ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس الطبعة الأولى (١٩٨٤) ص ١١٩ – ١٢٠

شديداً فى تحديد المسافة بينهما : اقترابا و ابتعادا . و من الطريف هنا أن نشير إلى اختلاف الشعوب فى تقدير المسافة بين المتحدثين بوجه عام . فالأوروبيون والأمريكيون بعامة يميلون إلى اختصار هذه المسافة . وربما أثار هذا الاختصار أو التقارب عواطف جنسية أو عدوانية فى نفوس الأمريكيين الشماليين كما يخبرنا غيرو [٧٢] .

ومع علمنا بتفاوت أبعاد المسافات تبعا للموضوع ودرجة الألفة بين المتحدثين ، فإننا نحسب أن المسافات المألوفة عند العرب فى المحادثات العادية التى لا تخضع لعوامل الإخراج على نحو مقصود ومسافة مختارة هى غالبا المسافة الحيادية الأولى (من ٥٠ - ٩٠ سم) والثانية (من ٣٠و ١ -٥٠ ر ١ م) .

فضلا عما سبق ، يمكننا أن نستدرك العلامات التى تدل على الهوية ، كالشارات والشعارات ، التى قد ترتبط بجماعة اجتماعية أو مهنية أو ثقافية أو دينية ... الخ . ونضيف إلى تلك العلامات أيضا إيحاء الموقف الاجتماعى أحيانا بمعان ذاتية عند المستمع ، فى وقت بعينه ، ربما لا ترمى إليها مقاصد المتكلم .

---

(٧٢) بيار غيرو : السيمياء ، ص ١٢٠ - ١٢١

المبحث السابع

الطبيعة الحوارية للغة المنطوقة

الطبيعة الحوارية للغة المنطوقة

اللغة المنطوقة حوارية بطبعها ؛ لأنها – فى جوهرها – محادثة حوارية . والمحادثة الحوارية عملية تبليغية بين شخصين على الأقل :

١ – تحدث بينهما فى وقت واحد ،

٢ – وفى مكان واحد ،

٣ – عبر قناة اتصال تقنية ،

٤ – بحيث يستطيع أحدهما فى أى وقت من زمن المحادثة أن يكون له دور فى الكلام ،

٥ – وبحيث يربطهما موضوع مشترك .

و يمكننا – بالمصطلح السوسيولوجى – أن نجمع عناصر التعريف : ١ ، ٢ تحت مصطلح (موقف المواجهة face - to - face - Situation) [٧٣] .

وتتخذ المحادثة الحوارية صورتين اثنتين هما : الديالوج والمونولوج . وتعنى الصورة الأولى الحوار أو المخاطبة بين شخصين . أما الصورة الثانية ، فهى أن يخاطب المرء نفسه . ومن أجل ذلك ، فإن الديالوج يتميز بتغيير العلاقة بين المرسل والمستقبل (وهى علاقة ثنائية تتخذ هيئة : متكلم – مستمع ، أو : كاتب – قارئ) ، أى أن الديالوج يتميز بالتبادل اللغوى . أما المونولوج ، فإن المستقبل (وهو متخيل غالبا) يبقى

---

(٧٣) Schank / Schoenthal , op . cit., S.64

معه صامتا ، أى أن المونولوج يخلو من التبادل اللغوى . ولاتختلط الفروق بين الديالـوج والمونـولـوج بالفروق بين (العالم المتحدث عنه besprochene Welt) و (العالم المحكى erzaehlte Welt) ؛ ذلك أن وظيفة الديالوج - فى الأكثر - هى التحادث ، بينما تبدو وظيفة المونولوج - فى الأكثر - وظيفة حكائية . بعبارة أخرى : فإن جوهر الديالوج هو تبادل الحديث ، بينما يتجلى جوهر المونولوج فى السرد والحكاية .

ولاريب أن الديالوج شئ أولى . وهو أولى أيضا بالمفهوم التاريخى ، ذلك أن اللغة باعتبارها أداة تفترض وجود مشاركين لغويين . وبالمثل ، فإن اللغة المنطوقة تعد أولية ، إذا قوبلت باللغة المكتوبة (وينطبق هذا بالتالى على النظام الصوتى فى مواجهة النظام الكتابى ، والشفرة المنطوقة فى مواجهة الشفرة المكتوبة) .

ويستنتج مما سبق ، أن هناك تفاعلا خاصا بين اللغة المنطوقة والديالوج ؛ فالديالوج هو الشكل الرئيسى للغة [٧٤] .

والفكرة السابقة ليست - بالطبع - جديدة ، فكثيرا ما أشار إليها اللغويون ، من مثل ديفيد آبر كرومبى David Abercrombie ، الذى يذكر أن المحادثة Conversation (= Dialogue) هى النمط الأساسى للغة المنطوقة . وهو يجعل المونولوج النمط الحقيقى الثانى لهذه اللغة . ولكنه ليس دائما شكلا منطوقا خالصا ؛ لأنه قد يعتمد على نوع من اللغة المكتوبة التى تقرأ جهرا [٧٥] .

---

(٧٤) Soell , op . cit ., S.30

(٧٥) Abercrombie, D., Conversation and Spoken Prose, in : D. Abercrombie : Studies in Phonetics and Linguistics, London (1965) p.3

من أجل كل ذلك ، أدخل بعض اللغويين صورة المونولوج فى قائمة لغة الكتابة واللغة المكتوبة ، على نحو مافعل ألوا جدليتشكا Alois Jedlicka فى قائمته التالية :-

لغـــة الكتابـــــة	–	اللغة الدارجـــــة
اللغة المكتوبـــــة	–	اللغة المنطوقـــــة
صورة المنولـــوج	–	صورة الديالـــــوج
السمات العامـــة	–	السمات الخاصـــــة
للتعبيرات اللغويـة		للتعبيرات اللغويـــة
الميل إلى المحافظة	–	حيوية العناصر اللغوية (٧٦)

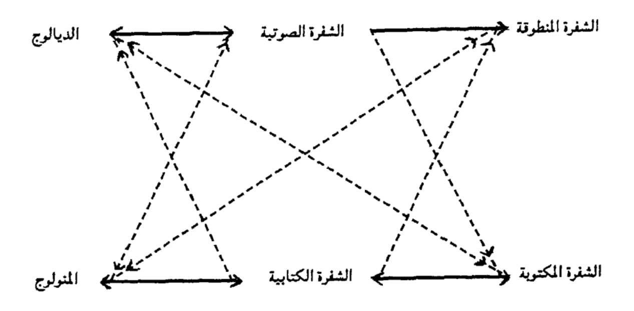
وإذا كان المونولوج يعنى مخاطبة الذات ، فإن هذه المخاطبة قد تكون سرا أو همسا أو جهرا . وليست وظيفة المونولوج فى جميع هذه الحالات وظيفة توصيلية على نحو ماهو مألوف فى نظرية الاتصال اللغوى ، إلا إذا تغيرت صورته ، وصار مقالة إنشائية أو سردا . وهو – حينئذ – يمكن كما فعلت هلجا فايدر Helga Feider – أن يتخذ مثالا على اللغة المكتوبة . ومن أجل ذلك ، فإن بحثها الموسوم بـ (الوصف النحوى المقارن بين الإنجليزية المنطوقة والإنجليزية المكتوبة) يمكن – كما يقول سول Soell – أن يعد بحثا فى المقابلة بين الديالوج والمنولوج (٧٧) .

وتبدو خلاصة هذه المقابلة – فى ترسيمة سول – على النحو التالى :-

---

(٧٦) Soell , op . cit ., S.30

(٧٧) Soell , op . cit ., S.31



ونستطيع أن نضع على المحور الأعلى مؤشرات نحو (هذا ، أنا ، هنا ، اليوم . . . إلخ) . وهى مؤشرات ترتبط باللغة الدارجة ، وبالرغبة فى الإيضاح ، وبالموقف التبليغى (وهى فى الوقت نفسه علامات على الديالوج) [٧٨] .

وإذا كان التفاعل بين اللغتين : المكتوبة والمنطوقة حقيقة لا يمكن إنكارها ، فإن التفاعل بين الديالوج والمونولوج حقيقة ثابتة كذلك . وبمقدورنا أن نرى مثل هذا التفاعل فى دخول نصوص مونولوجية فى نصوص ديالوجية أحيانا غير قليلة . وتفتح هذه المسألة الباب لدراسة ظاهرة التناص (أو التفاعل بين النصوص) Intertextuality فى اللغة المنطوقة أيضا ، بعد ما لقيته من عناية تستحق التقدير فى بحث اللغة الأدبية المكتوبة . ونحن فى حديثنا عن التفاعل بين اللغتين : المكتوبة والمنطوقة من ناحية ، والتفاعل بين

(٧٨) Soell, op. cit., S.31

نصوص مونولوجية ونصوص ديالوجية من ناحية أخرى ، ندرك الأهمية القصوى لبحث مسألة التناص إذا عرفنا أن التناص هو أحد المعايير الأساسية التى تتيح لنا الاعتراف بنصية النص [٧٩] .

(٧٩) فى بحوث علم اللغة النصى حرص العلماء على جمع عينات من اللغة المنطوقة مع عينات اللغة المكتوبة جنبا إلى جنب ، ومثال ذلك ما فعله دوبوجراند de Beaugrande ودرسلر Dressler ، فى جمعهما عينات لأنماط نصية متباينة لغويا هى : إرشادات الطرق ، أغانى الأطفال ، مقالات صحفية ، كتب علمية ، محادثات متبادلة بين شخصين ، قصائد . وفى ضوء هذه النصوص عرّفا النص بأنه : حدث تبليغى تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هى : معيار التماسك Cohesion (ويختص بأشكال العلاقات المتبادلة بين مكونات النص السطحى (أى المفردات الحقيقية التى نسمعها أو نراها) داخل السلسلة اللغوية . ويعتمد هذا التماسك على علاقات نحوية) ومعيار التآلف Coherence (ويختص بكيفية تآلف مكونات عالم النص فيما بينها ، أى كيفية تشكيل المفاهيم والعلاقات الكامنة فى النص السطحى ، وقابلية هذه المكونات بعضها للبعض الآخر) ومعيار المقصدية Intentionality (وهو يرتبط بمستخدم النص لا بمادته على نحو ما فى المعيارين السابقين . والمقصدية هى التى تجعل لعملية التوصيل النصى فاعلية . ويحتوى مفهوم المستخدم على كل من منتج النص ومستقبله) ومعيار القابلية Acceptability (ويرتبط بسلوك مستقبل النص ، بحيث تصبح مجموعة الأحداث التى تكون نصا متماسكا متآلفا مقبولة عند المستقبل ، يستقى منها معرفة من نوع ما) ومعيار الإخبارية Informativity (ويختص بمدى توقع الأحداث المعروضة فى النص أو عدم توقعها ، والإحاطة بهذه الأحداث أو الجهل بها . ولابد لأى نص من أن يكون إخباريا على نحو أو آخر ، مهما كانت صورة الإخبار والمضمون المخبر عنه) ومعيار الموقفية Situationality (ويختص بالعوامل التى تجعل النص مناسبا لموقف الحدث وظرفه ؛ فليس مناسبا مثلا أن تقرأ إرشادا من إرشادات المرور يقول : " أسرع ، منطقة سكنية " ! ؛ فالمناسب لموقف الحدث هنا هو تهدئة السرعة لا الأمر بها) وأخيرا معيار التناص (ويختص ببحث علاقة النص بنصوص أخرى ، والعوامل التى تجعل استخدام النص معتمدا على ما يقدمه نص أو نصوص سابقة من معرفة ، فهو إذن عبارة عن حوار النص مع نص أو نصوص أخرى تتدخل فى تحديد القواعد التى تحكم مضمونه وتوجهه) :

de Beaugrande, Robert - Alain / Dressler, Wolfgang Ulrich, Introduction to Textlinguistics, Longman, London and New York (1981) p.11

وأود – بناء على استقرائى لعدة نصوص منطوقة – أن أسجل الملحوظات العامة التالية :–

(أولا) أن أكثر نماذج هذا التناص قد وردت فى محادثات عائلية مباشرة ، بينما تندر جدا فى المحادثات الرسمية العلنية .

(ثانيا) أن صور التناص اللغوية لاتقف عند حد الكلمات المفردة أو أنصاف الكلمات ، بل تتعدى فى حالات غير قليلة (لاسيما فى المناقشات العاطفية والانفعالية) الجملة أو العبارة ، حتى تصل إلى التضمين بمثل شائع أو قول مأثور أو جزء من أغنية مشهورة .

(ثالثا) أن لهذا التناص المنولوجى أثره الواضح فى النماذج التى يشيع فيها فى توجيه المقاصد الجزئية والكلية للخطاب على حد سواء ، وربما استخدمت أداة للتعمية على المخاطب إذا اختلف معه المتكلم فى وجهة النظر ، أو إذا لم يبد المتكلم تفاهما مع مقاصد المخاطب بوجه عام .

وإذا كانت المهمة الأولى للغة هى إقامة الاتصال بين الأفراد : مكتوبا أو منطوقا ، فإن أهميتها فى صورة المونولوج ، أو مايسميه رومان ياكوبسون **Roman Jacobson** بالاتصال الداخلى **Intrapersonnelle** [٨٠] مما يستحق التنويه كذلك . وكثيرا مايعد المونولوج (بمعنى حديث الذات أو الاتصال الداخلى) تمهيدا منظما (بكسر الظاء) لعملية المشاركة فى الديالوج . بل لقد جعل تفريغه وإظهاره كلاميا أداة فنية خطيرة فيما

---

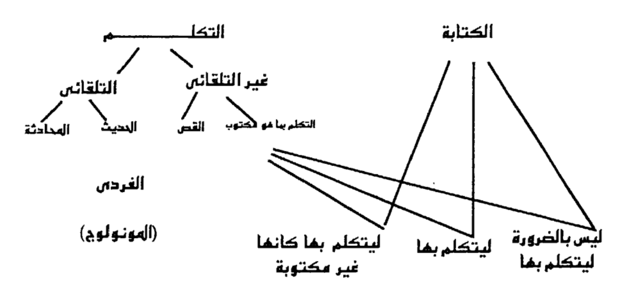
(٨٠) Jacobson, Roman . Linguistique et Communication, Laffont, Paris (1975) p.107

عرف فى الرواية الحديثة بتيار الوعى . وهو مما يسمح للشخصية بأن تفصح عما تريد بما لا تستطيع أن تفصح به مباشرة وعلنا أمام مشاركين حقيقيين فى الحديث .

المبحث الثامن

اللغة المنطوقة وعامل الإعداد

ونود أولاً أن نقدم نموذج الكتابة والتكلم عند جريجورى Gregory فى ترسيمته التالية :-



وإذا كنا قد عرضنا فيما سبق للديالوج والمونولوج ، فإن الذى ينبغى الالتفات إليه فى ترسيمة جريجورى السابقة هو القص Reciting . فالقص خليط من الشفرتين : المكتوبة والمنطوقة . وعندما ننظر إلى هذه الترسيمة فى ضوء عامل الإعداد ، يمكننا أن نصل إلى تفريق جديد بين هاتين الشفرتين : فهناك أقوال معدة وأقوال غير معدة . ولايتداخل هذا التقسيم مع تقسيم جريجورى فى رسمه إلى : تلقائى وغير تلقائى ؛ ذلك أن " غير التلقائى " يعنى هنا عملية التلفظ أو التصويت Phonisierung بأقوال معدة من قبل (مكتوبة كتابة مباشرة أو غير مباشرة) .

إن قراءة نص مكتوب أو تسميع نص من الذاكرة ، أمران مختلفان عن إنتاج نص شفهى بعد إعداد وتجهيز . إن نصا بنى علـــى هذا النحـــو ، حتى وإن تم تشفيره Kodierung [٨١] - إلى حد ما - على غرار نسق الجملة فى اللغة المكتوبة ، هو دائما نص شفوى مباشر . إن وقت الإعداد مع الأقوال الشفهية محدود دائماً (الكلام الحر ، المقابلات . . . الخ) بالقياس إلى وقت الإعداد غير المحدد مع الأقوال المكتوبة [٨٢] .

والحق أننا لو نظرنا إلى درجات الإعداد فى اللغة بعامة فى شىء من التدقيق ، لرأينا :-

(أولاً) أن اللغة لاتخلو فى كافة أشكالها من مدة للإعداد .

(ثانياً) أن مدة الإعداد مع الأقوال الشفهية قصيرة جداً ، لاتكاد تحسب . ولذلك يقال بأن الأقوال الشفهية عادة غير معدة ، وأن هذا الضرب من الإعداد هو - بالأحرى - نوع من التروى .

وقد فطن إيجلسون Eagleson إلى هذا الأمر ، فعنده أن أهم فرق يميز بين الشفرتين بنائيا هو الفرق بين الكلام المتروى Premeditated Speech والكلام غير المتروى Unpremeditated [٨٣] .

(ثالثاً) أن ماسبق يفتح الباب كذلك للقول بأن الشفرة المكتوبة تعرف درجات من

---

(٨١) ونعنى بالتشفير هنا إعادة كتابته وفقا للرسم الإملائى وعلامات الترقيم والتنقيط والوقف فى الشفرة المكتوبة .

(٨٢) Soell, op. cit ., S.22

(٨٣) Eagleson , R., D., Premeditated and unpremeditiated Speech, in English Studies 39 (1958) pp. 145 - 154 , p153

الإعداد ؛ فقد تنخفض درجته جداً ، على نحو مانجد فى المذكرات والرسائل الشخصية . وقد تكون معدة أو معدة إعدادا خاصا ، على نحو مانجد فى حالات كثيرة فى التقارير العلمية ، والخطب السياسية ، والمرافعات والأمور القضائية ... إلخ .

(رابعاً) من ناحية أخرى ، فإنه يفتح الباب للقول بأن الشفرة المنطوقة قد تكون قابلة للإعداد أحيانا ، بل قد تعلو فيها درجة الإعداد بالقياس على المعتاد فى الكلام التلقائى ، كما نجد فى إلقاء المحاضرات ، أو مناقشة الرسائل الجامعية ، أو فى بعض البرامج العلمية التليفزيونية ، أى فى الحالات التى لايتغير فيها المتكلمون غالباً .

(خامساً) أنه فى حالة الديالوج تكون الأقوال الشفهية تلقائية وغير معدة . أما الأقوال المكتوبة ، فهى ليست قابلة للإعداد فحسب ، بل لاتكون عادة إلا معدة ، مهما انخفضت درجة الإعداد .

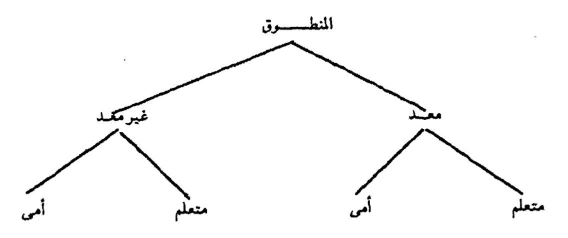
(سادساً) أن التفاوت أو التذبذب فى عامل الإعداد بين الشفرتين يتخذ أداة للقول باقتراب أساليب إحداهما من الأخرى . فالملاحظ أنه كلما انخفضت درجة الإعداد فى الشفرة المكتوبة اقتربت من نظيرتها المنطوقة ، بل ربما وصل هذا الاقتراب – أحيانا – إلى حد التداخل بينهما فى العملية التبليغية ، بمعنى استعارة إحدى الشفرتين بعضا من العلامات والخصائص اللغوية البنائية للأخرى .

وأود أن أشير هنا إلى ملمح رئيس من ملامح السرد الروائى المعاصر ، وهو الاقتراب من المواصفات البنائية والوظيفية للشفرة المنطوقة . ونحسب أن اقتراب الشفرة المكتوبة فى السرد الروائى المعاصر من نظيرتها المنطوقة ، يعكس نوعا من التناغم بين السردى والحوارى داخل الرواية . ولنا أن نراه نوعا من الانتقال من وظيفة الراوى الحصيف إلى وظيفة المتكلم العادى الذى يلغى المسافة بينه وبين قارئه بعفويته وتلقائيته .

ونلفت النظر هنا – على وجه الخصوص – إلى اثنين من أبرز الروائيين المصريين الشباب الذين عرفوا بهذا التكنيك ، وهما يوسف القعيد وجمال الغيطاني .

على أية حال ، فإن درجة التعليم تلعب دورا فى اختيار المتكلم تنويعاته وأدواته اللغوية ، وإن كان سول Soell يجعل هذا العامل عاملا ثانويا (٨٤) . والواقع أن هذه النظرة ليست نظرة مطلقة ؛ ذلك أن درجة التعليم أو التعليم بعامة ، مما يؤثر تأثيرا كبيرا فى شكل الشفرة ومكوناتها ، لاسيما فى البلدان التى يتسع فيها البون بين المتعلم والأمى .

ومهما يكن من أمر ، فإن الذى لاخلاف عليه أن التمييز بين الشفرات يتجلى – بصفة أساسية – من خلال المستويات اللغية Sprachregister (= Sprachniveau) ومن خلال الممارسة اللغوية Sprachpraxis ذاتها . ولننظر الآن إلى الشكل التالى :–



وبالنظر إلى هذا الشكل ، نلاحظ الابتعاد عن معيارية لغة الكتابة كلما اتجه بنا البصر ناحية الشمال .

---

(٨٤) Soeell , op . cit ., S.44

وقد حاول جان بيتار Jean Peytard أن يصل إلى تصنيف أوسع للأقوال الشفهية عن طريق تناول العلاقة ين المرسل (المتكلم) والمستقبل (المستمع) . وقدم لذلك نموذجا مصنفا على أساس السمات التالية :-

المستقبل الحقيقى / المستقبل المفترض ،

المستقبل القريب / المستقبل البعيد ،

الاحتكاك المباشر / الاحتكاك المتباين ،

التبادل / الحديث من جانب واحد ،

الإثارة المباشرة / الإثارة غير المباشرة .

وتحتوى السمة الأخيرة على المثيرات التعبيرية الشفوية المباشرة ، أى المثيرات التى تعتمد على نص مكتوب . وهى سمة لاتضم الشفرة المنطوقة وحدها ، بل تنطبق كذلك على الشفرة الصوتية Code phonique . ويبـدو نموذجـه – مع شىء من التغيير والاختصار – على النحو التالى :-

السمات / الأنماط	حقيقى	قريب	غير مباشر	مباشـــــر	تبادلـــى
١ - المحادثة	+	+	+	+	+
٢ - محادثة تليفونية	+	–	+	+	+
٣ - محادثة عبر الراديو أو التليفزيون	–	–	(± ·)	· +	–
٤ - لغة المسرحية	+	+	+	–	–
٥ - لغـــة المسرحـــية التلفزيونــــــية	–	–	(±)	–	–

ويبدو من هذا الجدول أن النمط (١) ، وهو المحادثة ذات العلامة + مع السمات الخمس جميعها ، هو أكثر الأشكال من حيث الطبيعية وعدم المباشرة اللتين يعرفهما القول الشفهى . أما النمط (٢) ، فيصور المحادثة التليفونية ، ويرمز معه بالعلامة – (فى خانة : قريب) ، حيث لايكون لتعبيرات الوجه أو حركات اليدين دور مباشر . أما النمط (٣) ، وهو محادثة المشاهدين أو المستمعين (عبر جهاز التلفزيون أو الراديو) ، فيمثل سمة أساسية للشفرة المنطوقة وللإثارة المباشرة **direkte Stimulation** . وأخيرا ، يمثل النمطان (٤) و(٥) نوعين من الشفرة المنطوقة تثير إثارة غير مباشرة (مكتوبة) . وليست اللغة المنطوقة من هذا النوع لغة تلقائية . وإذا تصورنا أن النصوص المسرحية نصوص شفهية محض ، وهو تصور مشكوك فى صحته [٨٥] ، فإن المقارنة بين التصور الشفهى والتحقيق الشفوى الفعلى تكشف عن فقدان جانب من المشافهة الحقيقية أو الأصلية **urspruengliche Oralitaet** نلحظه فى شفرة الكتابة **code graphique** .

وقد حاول سول ترتيب أنماط القول الخمسة التى عرضنا لها الآن وفقا لتدرج السمات :" مباشر " و" تبادلى " و" قريب "(= مرئى)ترتيباً تدريجياً على هذا النحو :–

	١	٢	٣	٤	٥
(صوتيا)	الشفرة الصوتيــــــة				
" مباشر "	مشافهة مباشرة (شفرةمنطوقة)				
" تبادلى "	مشافهة تبادلية				
" قريب "	النمط الأصلى للمشافهة	(٨٦)			

(٨٥) وذلك أن وجود نص أدبى مكتوب صاحبه واحد وموجه للخطاب – وفقا لاعتبارات فنية مقصودة – يلغى صفات التلقائية الحقيقية والتميز الأسلوبى الفردى الحقيقى . وهى صفات ترتبط باعتبارات عدة تخص المتكلم فى اللغة المنطوقة الحقيقية .

(٨٦) Soell, op. cit., S.S.46-47

ويتضح لنا من هذا الترتيب التدريجى الذى اقترحه سول أن الشفرة الصوتية تغطى الأنماط جميعها على نحو لغوى اعتيادى ، باستثناء النمط الخامس (المسرحية التلفزيونية) الذى تتدخل فيه عوامل صوتية غير لغوية وعوامل أخرى تتعلق بالإخراج بوجه عام . إنه إذن ليس نمطا لغويا محضا ، وقد رمز إلى ذلك بالنقاط الرأسية .

من ناحية أخرى ، فإن الشفرة المنطوقة ، تتسع حتى تضم الأنماط الثلاثة الأولى ، أى المحادثة المعتادة ، والمحادثة عبر وسيط (كالتليفون أو جهاز الراديو والتلفزيون) . هذه الأنماط من المحادثة هى – فى نهاية الأمر – ضروب من المشافهة التلقائية المباشرة . اما المشافهة التبادلية ، أى التى يتبادل فيها جانبان الحوار ، فتنحصر فى النمطين : الأول والثانى ، ذلك أن النمط الثالث لايكون تبادليا بالمفهوم الحقيقى للتبادل ؛ لأنه يصدر من متكلم إلى مستمع أو مشاهد عبر وسيط ، فالذى ينتج عن العملية التبليغية هو نوع من الاستجابة (الإصغاء، القبول ، الرفض ، ... الخ) وليس نوعا من المشاركة الفعلية الحقيقية فى الحديث .

فإذا ماوصلنا إلى النمط الأول ، كانت المشافهة الحقيقية ، أو المشافهة بمفهومها الأصلى ؛ لأنها تنتج عن محادثة عن قرب .

ويشترط هوجو ستيجر Hugo Steger لإدخال نص ما فى إطار اللغة المنطوقة الخالصة شرطين رئيسين :-

(أولهما) ألا تكون مكتوبة أو مدونة من قبل .

(الآخر) ألا تكون مستخدمة فى حديث بعينه بعد إعداد طويل (٨٧) .

---

(٨٧) Soell, op. cit ., S.48

ويلاحظ ، من ناحية ، أن هذين الشرطين يؤكدان عدم الإعداد والقصدية فى اللغة المنطوقة . كما ينبغى ، من ناحية أخرى ، الإشارة إلى أن هذين الشرطين قد اتفق عليهما بوجه عام – فى بحوث اللغة المنطوقة ، يقول هانز إيجرز Hans Eggers مثلاً :

" إن من يقرأ أصلا مكتوبا معدا قراءة حرفية ، أو ينشد شعرا ، يبقى نطقه – بالطبع – محصورا فى نطاق اللغة المكتوبة " (٨٨) .

ونسوق الآن مثالا يبين لنا الحدود الفاصلة بين الشفرتين فى ضوء الشرط الأول الذى اشترطه ستيجر ، وهو شرط مهم . فنشرة الأخبار الإذاعية أو التفزيونية تبدو – كما نعرف – فى هيئة نصوص ملفوظة ، تعد احتذاء بمواصفات اللغة المنطوقة . ويقود التزامن فى الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع إلى استخدام نماذج مبسطة من الجمل ، وإلى تكوين الجمل السريعة التى يمكن فهمها ، وإلى البناء النصى غير المعقد . ولاتحتاج لغة الصحافة إلى مراعاة ذلك بالضرورة ؛ فالتحقيق الشفهى لنص إخبارى (إذاعى أو تلفزيونى) معد يدخل الشفرة المكتوبة ، لأنه قد دون من قبل . وعند صياغة خبر صحفى فى نص إخبارى (إذاعى أو تلفزيونى) يتضح لنا الاقتراب من الشفرة المنطوقة والاستمساك بالشفرة المكتوبة فى الوقت نفسه : –

النص الإخبارى الصحفى :–

(يشهد ... رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء حفل تسليم مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات رسميا إلى هيئة المؤتمرات الدولية . ويلقى كل من الفريق ... وزير الدفاع كلمة فى الاحتفال وكذلك دكتور ... وزير شئون مجلس الوزراء و ... وزير

---

(٨٨) Eggers, Hans, Zur Syntax der deutschen Sprache der Gegnwart, in Studium generale 15, (1962) SS. 49 - 59, S.50

السياحة ، و ... وزير الإنتاج الحربى ودكتور ... وزير الاقتصاد ودكتور ... وزير التعاون الدولى ودكتور ... محافظ القاهرة .

وسيتم تبادل وثائق التسلم التى وقع عليها وزير التعاون الدولى مع حكومة الصين . وسيسلمها بدوره للهيئة العامة للمؤتمرات برئاسة ... وزير السياحة ، حيث يتم تسليم المركز رسميا للهيئة التى صدر قرار جمهورى بإنشائها .

ويتخلل الاحتفال عروض موسيقية تقدمها الفرقة العسكرية بالزى الفرعونى فى موكب كبير .

مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات من أحدث المراكز فى العالم وتكلف ٣٠٠ مليون جنيه بتمويل من الصين بقرض ميسر بفائدة بسيطة على مدى طويل . وأقيم المركز على مساحة ٧٠ فداناً ، واستغرق بناؤه حوالى ٣ سنوات .

المركز يستقبل اجتماع وزراء الخارجية بالدول الإسلامية نهاية الشهر الحالى ، كما يعقد به المؤتمر الدولى لاتحاد شركات السياحة (الأوفتا) فى نهاية سبتمبر وكذلك مؤتمر منظمة (الإستا) اتحاد شركات السياحة الأمريكية عام ١٩٩٢. وقد تم تعيين اللواء مهندس ... نائبا لرئيس الهيئة ورئيسا للجهاز التنفيذى) .

النص الإخبارى التلفزيونى :-

(تم اليوم تسليم مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات إلى الهيئة العامة لمراكز المؤتمرات برئاسة السيد ... وزير السياحة والطيران المدنى الذى وقع خطة التسليم مع الدكتور ... وزير الدولة للتعاون الدولى واللواء ... مساعد وزير الدفاع والإنتاج الحربى نائبا عن القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربى . وقد أقيم بهذه المناسبة

احتفال كبير شهده دكتور ... نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية والدكتور ... محافظ القاهرة.

ألقى وزير السياحة كلمة أعلن فيها ترحيبه والمركز الدولى للمؤتمرات باستضافة المؤتمرات الدولية بالمركز ، كما أشاد بدور جمهورية الصين الشعبية بإقامة وتشييد هذا الصرح العظيم . أشاد أيضا بدور القوات المسلحة فى إقامة هذا المركز وقدرتها على البذل والعطاء فى السلم والحرب . وألقى اللواء ... كلمة وجه فيها الشكر إلى جميع أجهزة الدولة وتعاونها مع القوات المسلحة ودور جمهورية الصين الشعبية فى إنجاز هذا المركز الذى يعد نموذجا للتعاون الدولى بين الشعوب . وقدم اللواء مهندس ... نائب رئيس المركز تقريرا عن المركز وإمكاناته لإقامة سياحة المؤتمرات وعقد الاجتماعات والمجالس القومية والمحلية وتشجيع عقدها فى مصر .

وتفيد المقارنة بين النصين فى ملاحظة مايلى :-

(١) اختلف زمن الفعل بين النصين ، باعتبار النص المكتوب فى الصحيفة إخبارا بما لم يتم حدوثه بعد ، بينما اعتادت نشرة الأخبار : الإذاعية والتلفزيونية الإخبار عما حدث بالفعل . ومن هنا اختلفت المعلومات شيئا ما بين النصين ، ومثال ذلك أن رئيس الوزراء لم يكن - فى النص الإخبارى التلفزيونى - ممن شهد حفل التسليم ، كما جاء فى النص الإخبارى الصحفى .

(٢) تميزت البنية اللغوية فى كلا النصين بالبساطة وتكوين الجمل السريعة ، بيد أن هذه السمات فى النص الإخبارى التلفزيونى أكثر ظهوراً نسبيا ، ويرتبط ذلك بالتزامن فى الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع .

(٣) يتشابه النصان إلى حد كبير جدا فى استخدام الروابط وحروف العطف ، فإذا

كان النص الأول قد استخدم منها (كما) و (كذلك) فى جملتين متعاقبتين ، فإن النص الثانى قد استخدم (كما) و (أيضا) فى جملتين متعاقبتين كذلك .

على أية حال ، فإن الذى يعنينا هنا هو أن النص الإخبارى : الإذاعى أو التلفزيونى لا يعد نصا شفهيا . وليست أوجه التشابه بينه وبين النص الإخبارى الصحفى إلا دليلا على دخوله فى النصوص المكتوبة. إن النص الإخبارى الإذاعى أو التفزيونى ليس نصا شفهيا ؛ لأنه قد كتب على نحو خاص ، فهو أسلوب مبسط من اساليب الكتابة . لقد انتفت سمة المشافهة فى النص الإخبارى التلفزيونى للأسباب التالية :

(١) أن هذا النص ليس تلقائيا ، ولكنه نص معد . ومن أجل ذلك خلا من أية علامات على التردد أو اللجلجة أو الوقفات اللافتة للنظر . فمثل هذه العلامات لانتوقع دخولها فى مثل هذا النص ؛ لأنها سوف تكون – إذ ذاك – علامات مستهجنة .

(٢) لا يشتمل هذا النص على أخطاء لغوية مما قد يقع فى اللغة المنطوقة ، ولا يشتمل على علامات مميزة لعملية المشافهة (مثل : حسنا ، إذن ، ونحوهما) ولا على وسائل لغوية تعبيرية (نحو تقطيع الجمل أو تجزئتها أو عناصر محذوفة أو جمل ناقصة) .

ومن أجل كل ذلك ، فهو نص تتميز بنيته بالسلاسة والتماسك .

(٣) يشتمل هذا النص على وسائل لغوية ملفوظة ورقيا ، أى مما نعهده مكتوبا على الورق ، نحو : شهد هذا الاحتفال – ألقى كلمة – تشييد هذا الصرح العظيم ... الخ .

المبحث التاسع

الشفرة المكتوبة والشفرة المنطوقة : نمط الإنتاج

الشفرة المكتوبة والشفرة المنطوقة : نمط الإنتاج

تستقل كل من هاتين الشفرتين إلى حد بعيد بمواضعات ومتطلبات وظروف تمايز بينهما من حيث نمط الإنتاج Manner of Production . ويؤدى الاختلاف بينهما فى نمط الإنتاج إلى اختلافات وفروق بنائية نراها فى المبحث القادم . ولدينا عدة وجوه للمقارنة بين الشفرتين من حيث نمط الإنتاج ، نكشف عنها فيمايلى : -

١ - لعل أول وجوه المقارنة تتجلى فى أن اللغة المنطوقة تستخدم عادة مصحوبة بتلويحات اليدين Gestik وتعبيرات الوجه Mimik . فهذا التفاعل بين حركات الجسم وإشاراته وبين التعبير ، مما لايجوز إغفاله ؛ لأنه يؤثر فى عملية التفاهم تأثيرا واضحا . وينبغى - كما يقول رونالد إيلوار - ألا نستخدم مقولة (التعبير الجسدى) جزافا وبدون تحفظ ، إذ لايكون الجسم معبرا بحركاته وسكناته إلا على قدر مايتسنى للكلام أن يفصح عن معانى هذه الحركات والسكنات [٩٠] ، أو بعبارة أخرى : إلا على قدر مايكون لهذه الحركات والسكنات من دور فى توجيه المعنى واكتماله .

وقد عنيت السيميولوچيا (ويترجمها بعضهم بالسيمياء وآخرون بالدلائلية) بهذه المسألة ؛ فأفاضت فى شرحها تحت قضية (مساعدات الكلام) . فإذا كان الاتصال الألسنى يعتمد على العلامات المنطوقة ، فإن الخطاب يترافق غالبا وبعض العلامات الموازية : تنغيمات ، حركات إيمائية ، حركات .

فالأمر يتعلق بتأشيرات طبيعية وعفوية ذات وظيفة محض تعبيرية . ولكن يمكن

---

(٩٠) رونالد إيلوار : مدخل إلى اللسانيات ، ترجمةدكتور بدر الدين القاسم ، منشورات وزارة التعليم العالى ، الجمهورية العربية السورية (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص ٣٤ .

لبعض منها أن تكون مصطلحة فى نهايات الاتصال : هز الكتفين ، ورفع الحاجب ، وحركة الرأس الأفقية أو العمودية ، وتلك علامات تختلف بحسب اختلاف الثقافات ، فاليونان مثلا يحركون رأسهم من أسفل إلى أعلي علامة النفى (٩١) .

ومن ناحية أخرى ، جعلت السيميولوچيا لبحث السلوك الحركى فرعا خاصا من فروعها هو (التشخيصية) وهو لايعنى بدراسة الإيماءات والحركات الجسدية فحسب ، وإنما يعنى كذلك بأثر التبدلات الصوتية أو مايعرف بالمؤثرات الصوتية النوعية voice quality effects ، مثل : أنظمة الوقفات ، والتنغيم ، ونمط النبر ، ونغمة الصوت ، وشدة الصوت أو طبقته ، والإيقاع ، ودرجة سرعة الصوت ، ونحو ذلك مما يؤثر تأثيرا قويا فى تحديد المعانى الوظيفية والمعجمية معا .

وتتضافر المؤثرات الصوتية مع الإيماءات والحركات أثناء الكلام . ويضرب براون / يول مثالا على ذلك بالعبارة التالية : **I'd really like to**

فإذا نطقها المتكلم مائلاً إلى الأمام ، مبتسما ، فى صوت حاد أو شاهق (من الشهيق) ، أفادت معنى مغايرا لما يقصده متكلم آخر ينأى بجانبه ، مقطب الجبين ، فى صوت هازىء من الأنف (٩٢) .

وهذه المسألة – فى الحدود التى نرتضيها هنا – أظهر من أن نخوض فى التمثيل عليها . ويكفينا مثالا على ذلك من العربية عبارة نحو : وهذه صفارة الحكم (فى نهاية مباراة بين فريقنا وفريق أجنبى) .

فقد تدل العبارة لمن سمعها ولم يشهد المباراة أويعرف النتيجة على فرحة انتصار

---

(٩١) بيار غيرو : السيمياء ، مرجع سابق ، ص ٦٦ – ٦٧

(٩٢) Brow[n] [&] Yule, op.cit.,p.4

فريقنا ، إذا صدرت عن المتكلممائلا إلى الأمام ، ملوحا بيده ، مبتسما ، وفي نوعية صوتية حادة أو صارخة . بينما تفيد العبارة ذاتها معنى الهزيمة إذا بدا المتكلم مقطب الجبين ، وإذا نطقت فى طبقة صوتية ضعيفة وإيقاع بطئ محبط .

لايصح إذن أن نهمل أثر السمات الخارجة عن اللغة أو المكونات غير اللغوية فى إنتاج الشفرة المنطوقة .

وإذا كانت حركات اليدين وتعبيرات الوجه والتبدلات الصوتية مرتبطة بالموقف ، فإن ذلك يبين من ناحية أخرى أن الشفرة المكتوبة لاتملك إلا أن تعيد الموقف لغويا وعلى نحو غير مباشر . وعند نقل اللغة المكتوبة إلى صورة صوتية تبدو الاستعانة بحركات اليدين وتعبيرات الوجه أداة للتفسير ، وليست نابعة من الحدث الكتابي نفسه أو تابعة له [٩٣] .

٢ - لايتحكم المتكلم وحده فى إنتاج الأنظمة التبليغية **communicative systems** التى تختلف بدورها عن الأنظمة التى يتحكم فيها الكاتب ؛ فالمتكلم يتدرج بمنتجه اللغوى فى ظروف تقتضى متطلبات كثيرة . وينبغى على المتكلم أن ينبه تماما إلى مايقوله وأن يجعله مناسبا ومطابقا لمقاصده . إنه ينطق بعبارته الجارية على لسانه فى الوقت نفسه الذى يخطط فيه لما يأتى من منطوقات . إنه لايبقى محتفظا بما قاله من قبل . وفى بعض الأحيان الاستثنائية يكون هنالك مايذكره بما يريد قوله بعد ذلك .

على العكس مما سبق ، يستطيع الكاتب أن ينظر فيما كتب ، كما يمكنه أن يتوقف بين كلمة وأخرى دون أن يخشى مقاطعة محدثه ، وينال حقه فى اختيار مفرداته ، وربما استعان بالمعجم إن اقتضى الأمر ، وله أن يفحص ماوصل إليه فى ضوء ملحوظاته ، وله أيضا أن يعيد تنظيم ماكتب ، بل ربما بدل رأيه فيما يود قوله .

(٩٣) Soell, op. cit ., S..21

وبينما قد يحجب المتكلم عن الكلام تحت وطأة ظروف بعينها ، فإن الكاتب لايخضع لضغط مثل هذه الظروف . كذلك ، فإن المتكلم يدرك أن الكلمات التى تنطلق من شفتيه سوف يسمعها محدثه ، ولذلك يصلح من كلامه إصلاحاً نشطا شاملا . أما الكاتب ، فإن لديه الفرصة لأن يشطب ماكتب ويعيد كتابته [٩٤] . وغنى عن البيان أن مانجريه على اللغة المنطوقة من إصلاحات أو تصويبات يبقى مسموعا ؛ فاللغة المنطوقة لاتمحى ولاتكشط . ووقوع الخطأ عند الانطلاق بالحديث أمر وارد فى اللغة المنطوقة وإن كان من الأحرى ألا نعده خطأ بالمعنى المألوف للخطأ ، فإن ذلك يعد - فى الواقع - سمة مميزة للغة المنطوقة [٩٥] .

٣ - إن الوقت الذى يستغرقه إنتاج اللغة المكتوبة (عند كل من المرسل والمتلقى) أطول مما يستغرقه إنتاج اللغة المنطوقة . ويرتبط هذا العامل ارتباطا غير مباشر بإمكانية التصويب التى تحدثنا عنها منذ قليل .

إن تباين اللغتين فى مدة الإنتاج ، يرتبط بما تعرفه اللغة المنطوقة من ضآلة التعقيد ، وضآلة التنويع كذلك .فأشكال الأنساق اللغوية فى اللغة المنطوقة أقل بوجه عام مما تنتجه اللغة المكتوبة . ويعنى ذلك أن الخطاب الشفهى يستخدم قدراً ضئيلا من الإمكانيات الاستبدالية (الرأسية) فى اللغة paradig- matische Moeglichkeiten [٩٦] . وهى الإمكانيات التى ترتبط بأنساق المفردات وصيغها وتصاريفها وإيثار بعضها على بعض .

وقد بحثنا من قبل عامل الإعداد ، ورأينا أنه فى الشفرة المكتوبة أقوى منه فى

(٩٤) Brown / Yule , op . cit ., p.5

(٩٥) Soell, op. cit ., S.21

(٩٦) Soell, op. cit ., S.22

الأقوال الشفهية المنطوقة . ولهذا العامل تأثيره المباشر فى درجة التعقيد والتنظيم بين الشفرتين . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشفرة المنطوقة تعرف إمكانيات خاصة تستعيض بها عن التعقيد ، كالتبدلات والمؤثرات الصوتية ، وإشارة اليدين ، وتعبيرات الوجه . وهى إمكانيات تقوى أثر الشفرة المنطوقة فى العملية التبليغية من ناحية ، وتهبط بدرجة التعقيد النحوى والدلالى فيها من ناحية أخرى .

٤ – وترتبط مسألة اختلاف الشفرتين فى المدة الزمنية التى تستغرقها إحداهما بمسألة أخرى هى ميل الشفرة المنطوقة إلى تبسيط نسبى فى الإنتاج . ويرتبط هذا التبسيط بسمات لغوية عدة ، من أهمها : البتر ، والاقتصاد ، والحذف ، وإستثمار مايسميه هـ . تسيمرمان **H.Zimmermann** بـ (الفكر الضمنى) **unausgespro-chenes Denken** أى الذى لايتلفظ به [٩٧] . ويعرف إنتاج الشفرة المكتوبة هذه السمات أحيانا ، ولكنها فى الشفرة المنطوقة أقوى أثرا وأكثر شيوعا ، فهى من طبائعها الأولية . وينبغى فى حديثنا عن التبسيط أن نميز بين التبسيط التصريفى (الرأسى) والتبسيط التركيبى (الأفقى) . ففى العربية نرى من وجوه التبسيط التصريفى فى الشفرة المنطوقة استبدال المفردات ذات الأوزان المزيدة بمفرادتها المجردة ، وإيثار المفردات السهلة الشائعة الجارية على الألسنة . ومن وجوه التبسيط التركيبى : الجمل القصيرة التى تسود الحديث الشفهى ، وتضاؤل الجمل التى يبدو فيها أثر التعليم ، والتساهل فى إحلال بعض الحروف محل بعض ، حتى وإن كان نظام اللغة المعيارية لايجيز مثل هذا الإحلال . وربما وجدنا من وجوه التبسيط التركيبى كذلك التقديم والتأخير الذى يعكس تأثرا بعادات لغوية خاصة

---

(٩٧) Zimmermann, Heinz , Zu einer Typologie des spontanen Gespraechs, syntaktische Studien zur basel - deutschen Umgangssprache, . Bern (1965)SS. 53-59

باللغة الدارجة ، مثل : جنيت ماذا من غضبك ؟ أو مايمكن أن نسميه بالاستفهام المقلوب مثل : جنيت من غضبك ماذا ؟ إن مثل هذه الأساليب مما يبدو مصوغا على مثال قولنا فى اللغة الدارجة : جنيت إيه من غضبك ؟ أوعلى مثال : جنيت من غضبك إيه ؟ ، وهى صيغ معروفة وشائعة فيها . وقد سبق أن لاحظ هانزإجرز Hans Eggers أن انتشار بعض التراكيب والجمل ذات السمات الخاصة فى لغة الكتابة المعاصرة بتأثير اللغة الدارجة (اللغة المنطوقة) شئ معروف ، على نحو مانجد فى الجمل المبتورة والناقصة (٩٨) .

ويؤكد التبسيط فى إنتاج الشفرة المنطوقة وما له من وسائل تؤدى إليه كالاختصار ، والاختزال ، والحذف ونحوها ، يؤكد دور الموقف التبليغى والاجتماعى فى العملية التبليغية ، ففى اللغة المنطوقة يساعد الموقف على فهم المحذوف أو المختزل . وكما يقول جان كوهين Jean Cohen ، فإن المتكلم حرصا على الاقتصاد يلغى المعلومات التى يعلم أن محدثه يستطيع أن يستخلصها من الموقف . والقصيدة – مثالا على اللغة المكتوبة – تفعل الشئ نفسه ، مع فارق واحد هو أن الموقف لاوجود له . ومن هنا فإن كل الكلمات التى صنعت لكى تحدد ، تصبح عاجزة عن أن تملأ وظائفها ، فهى تعين دون أن تعنى ، وتصبح بذلك كلمات إشارية (٩٩) . إن الكلمات بالنسبة للغة المنطوقة تؤدى وظائفها داخل

---

(٩٨) Eggers, Hans, Deutsche Gegenwartsspracheim Wandel der Gesellschaft , in : Sprache , Gegenwart und Geschichte (Sprache der Gegenwart Bd . V hrsg . von H. Moser) Duesseldorf (1969) SS. 9 -29 - , S.10

(٩٩) أى كلمات تستخدم استخداما نمطيا لتشيرإلى المفاهيم المرتبطة بالعلامة اللغوية وتحدد كفاءتها الدلالية فى النظام اللغوى . وتختلف وظيفة العلامة فى هذه الحال عن وظيفتها فيما يعرف بـ (الإستخدام الراهن أو الفعلى actual usage) المرتبط بسياق الحدث اللغوى فى وقت بعينه وموقف بذاته .

الموقف باعتبارها " فهارس " علي حد تعبير بيرس ، وهى تصاحب الإيحاءات والإشارات التى تزود بالمراجع ، وفى داخل اللغة المكتوبة تقود الكلمات إلى شئ تم حدوثه من قبل الرسالة ذاتها ، ولكنها فى داخل القصيدة تفقد هذا وذاك .

ويمكن أن يقال الشئ نفسه عن الأزمنة الفعلية ، فكلها تعتمد على القياس إلى الحاضر كوسيلة توضيحية ، وفى اللغة المنطوقة يكون الحاضر مؤرخا من خلال الموقف ، وفى اللغة المكتوبة من خلال السياق (١٠٠) .

ومهما يكن من أمر ، فإننى أحسب أننا قد وصلنا هنا إلى مسألة مهمة جدا ، وهى التفريق بين السياق والموقف من ناحية ، وارتباط اللغة المكتوبة بالسياق والمنطوقة بالموقف من ناحية أخرى .

وقد دعا اللغويين إلى الخوض فى التمييز بين هذين الاصطلاحين وبيان وظائفهما فى الكلام مالاحظوه وصار ثابتا فى أكثر مراجع علم اللغة من أن مايفهم من الحدث اللغوى أكثر من المقول بالفعل .

ولعل من خير التمييزات التى تصادفنا فى بحث هذين الاصطلاحيين مانجده عند أوجينيو كوزيريو **Eugenio Coseriu** ؛ فالسياق **Kontext** يعنى المحيط اللغوى الخالص للعلامة فى النص ، أى المقول من قبل ومايقال بعد ذلك . أما الموقف **Situation** فيعنى المحيط غير اللغوى للعلامة أو لسلسلة من العلامات ، بما فيه من ظروف وملابسات تصاحب الحدث اللغوى ، فضلا عن معلومات يتجاوزها المتكلم والمستمع إذا كانت معلومة بينهما . ويضيف بعض المنظرين للغة إلى العاملين السابقين عاملا ثالثا

---

(١٠٠) جان كوهين : بناء لغة الشعر ، ترجمة دكتور أحمد درويش ، مكتبة الزهراء ، بدون تاريخ ، ١٨٤ – ١٨٥

هو مايعرف باسم (عالم الخطاب Universum der Rede (= universe of discourse) وهو مفهوم يضم – إلى جانب ماسبق – أشياء أخرى متمايزة ، يقدمها فى الترسيمة التالية :–

محيط الكلام

١ – الموقف :

غير مباشر

مباشر

٢ – المنطقة :

المكان

المجال

البيئة

٣ – السياق :

(أ) سياق لغة مفردة .

(ب) سياق الخطاب

	مباشر	غير مباشر
إيجابى		
سلبى		

(ج) السياق غير اللغوى :

١ – السياق الفيزيقى

٢ – السياق الإمبيريقى

٣ – السياق الطبيعى

٤ – السياق العملى

٥ – السياق التاريخى

	خاص	عام
حاضر		
مـــاض		

٦ – السياق الحضارى

٤ – عالم الخطاب

ويعنى أوجينيو كوزيريو بالموقف شيئا خاصا جدا ؛ إنه يتعلق بالظروف والملابسات والعلاقات فى الزمان والمكان ، تلك التى تنشأ من خلال الكلام ذاته ، أى من خلال حقيقة أن شخصا ما يتحدث مع شخص آخر فى حيز معين من المكان وفى لحظة معينة من الزمـــان عـن شئ مـــا . الموقـــف إذن هو المحيط الذى يضمنى **وإياك هنا وهناك ، الآن وذات مرة** .

ويغنى حديثنا السابق عن الحديث عن المنطقة وعناصرها مرة أخرى . أما السياق ، فأعنى به الحقيقة الكلية المحيطة بالعلامة ، ويمكن أن تكون هذه الحقيقة مستمدة من العلامة ، أو من شىء آخر ليس بعلامة . أما عالم الخطاب فأعنى به نظام عالم الدلالات الذى ينتمى إليه النص ، والذى يحصل النص من خلاله على شرعيته ومفعوليته ومعناه الخاص .

ونصل الآن إلى التمييز بين مكونات كل مقولة من المقولات السابقة . يميز داخل الموقف بين موقف غير مباشر وموقف مباشر . يبنى الموقف غير المباشر من الظروف والأحوال الزمانية والمكانية الفعلية ، التى تنشأ هى ذاتها من الحدث اللغوى . إن الموقف غير المباشر يوجد ، عندما أقول أنا (باعتبارى متكلما) هنا والأن شيئا مافى مكان الكلام وزمانه . أما الموقف المباشر ، فوجوده رهين تحول نقطة الكلام إلى الخارج : **فأنا** لست أنا ، وإنما أنا راو لـ : أنا . **وهنا** ليست هنا ، وإنما هنا هى هنا الأشياء والوقائع التى يخبر عنها ، الوقائع التى لها آنيتها التى تخصها ، والتى لاتتداخل فى آنية الحدث اللغوى المجرد.

أما السياق ، فإنه يضم ثلاثة أنواع مختلفة ، هى :-

١ - سياق لغة مفردة : وهو عند أوجينيو كوزيريو اللغة ذاتها التى نتكلم بها ، فجميع العلامات المستخدمة فى حدث لغوى والتى تنتمى إلى لغة معينة تدخل فى علاقة غائبة **in absentia** مع عناصر علامية أخرى من اللغة نفسها .

٢ - سياق الخطاب : وهو النص ذاته باعتباره المحيط **Umfeld** الذى يتسع لكل جزء من أجزائه .

٢ - السياق غير الخطابى : وهو السياق الذى يتشكل من جميع الظروف والملابسات غير اللغوية التى يعيها المتكلم وعيا مباشرا أو التى يعرفها .

هذان النوعان الأخيران من السياق ، لهما أهمية خاصة لفهم نشأة المعنى فى النص . وإذا صرفنا الكلام على سياق الخطاب لاحظنا أنه لاتصنعه القطعة النصية فحسب ، وإنما يدخل فى صناعته كل مايتبع هذه القطعة وينتج عنها من ردود فعل كذلك : فكثيراً مايقال بأن ماقيل بالفعل هو الذى يمثل لنا سياق العلامات فى النص . والحقيقة أن مايمكن قوله بعد انتهاء المقول بالفعل ينتمى إلى سياق العلامات فى النص كذلك ، فقد يتعدل فهمنا للعلامات تعديلاً جذرياً فى موضوع ما فى النص ، ولانصل إلى هذا الفهم الصحيح أو المعدل إلا مع قراءتنا النص حتى نهايته .

أما سياق الخطاب الإيجابى ، فيعنى أن المعتاد وجود سياق إيجابى فقط . ولكن يبدو - كما يقول كوزيريو - أن مالم يقل وخلا مكانه ينبغى أن يؤخذ كذلك فى الحسبان . وهناك وظائف نصية كثيرة ترجع إلى أشياء لم يصرح بها أو لم تقل صراحة ولكن أشير إليها على نحو أو آخر . إن الأحداث اللغوية كالرمز ، والتلميح ، ونحوهما توظف غالبا على أساس المواضع الفارغة ، أو الفراغات المتروكة فى النص ، التى يعتبرها مفسرو النصوص معروفة قبل المقول بالفعل ، باعتبارها أشياء يسكت عنها المرء . ويمكن أن يكون السكوت عن هذه الأشياء سكوتا رمزيا ، بمعنى أن الشىء الذى لم يقل ، يمكنه أن يكون له معنى خاص .

ويعرف السياق الخارج عن النص ، بأنه السياق الذى يتعلق بجميع الظروف التى ليست داخلة فى عداد العلامات فى مقابل المستوى الأول من التحليل ، لأن الأشياء يمكن من آن لآخر أن توظف توظيفا رمزيا وأن تصبح علامات من الدرجة الثانية .

ويشتمل السياق الخارج عن إطار اللغة (= السياق غير اللغوى) على السياق غير اللغوى الفيزيقى ، وهو الذى يبنى من الأشياء التى تصاحبها العلامات مصاحبة غير مباشرة . ويشتمل كذلك على السياق غير اللغوى الإمبيريقى ، الذى يعنى الأشياء والموضوعات التى تكون معلومة لدى المشتركين فى العملية التبليغية زمن الكلام ومكانه . وقد يتعلق بالأشياء الظاهرة على نحو غير مباشر ، مثال ذلك : عندما أريد أن أكتب شيئا على السبورة ؛ فلست - أول الأمر - محتاجا إلى أن أحدد السبورة التى يدور حولها الكلام . ويضم كذلك السياق غير اللغوى الطبيعى ، وهو يعنى العالم الكلى لسياق الكلام المعروف لدينا ، أى جميع السياقات الإمبيريقية الممكنة . إنه يتعلق بالطبيعة المحيطة بنا وبما نعرفه عنها بفطرتنا وبما يفترض أننا نعرفه إلى درجة ماعند الكلام . وهناك أيضا السياق غير اللغوى العملى ، وهو يعنى ظرف التكلم ، أى الغلاف الذاتى أو الموضوعى الذى يكتنف حدث الخطاب Redeakt . ومثال هذا النوع من السياق حالة المشتركين فى الحديث والظروف المكانية والزمانية الدقيقة للكلام التى تسمح لنا بالتعبير عما نريد تعبيراً تقديريا أو إضماريا elliptisch ، كأن نقول لشخصٍ أمامنا : " إنه بارد برودة فظيعة " ، فقد نعنى هنا مشروبا ، وقد نعنى حالة الجو وقت التكلم . والأمر هنا متروك للسياق غير اللغوى العملى .

أما السياق التاريخى ، فهو مجموع الظروف والملابسات التاريخية المعروفة لدى المتكلمين . والوصف بالتاريخى هنا مقابل للوصف بالطبيعى . ويمكن أن يكون مدى السياق التاريخى مدى خاصا أو عاما ، بمعنى أنه يمكن أن يتحدد خلال جماعة صغيرة جدا كالأسرة ، أو القرية . وقد يتسع مداه إلى الأمة أو المجتمع الثقافى أو الإنسانية بأسرها . وفى كلتا الحالتين ، يسهم السياق التاريخى فى تحديد معنى العلامات

مستخدمة فى الحدث الخطابى . ومثال ذلك أن أما قد تسأل فى بيتها : أين أنت الآن يا عمر ؟ ولكنها إذا سألت هذا السؤال فى قاعة المحاضرات بالجامعة ، قوبلت بقهقهات عالية من الجميع وقد يكون السياق التاريخى عاما ، وهو - إذ ذاك - يعنى المعارف الشائعة . كأن نقول مثلا إننا نعيش فى جمهورية ديموقراطية لا فى نظام ملكى . ويمكن أن يكون السياق التاريخى حاضرا أو ماضيا ؛ فعبارة مثل (يوجد بابا واحد) هى تعبير فى سياق تاريخى عام حاضر ، لا ماض ، لأنه على مر الزمان كان هناك باباوات كثر . ومن ناحية أخرى . لأن البابا لم يكن فى جميع الأزمنة بابا واحداً فقط فى مكان معين . وفى السنوات الواقعة بين عامى ١٩١٨ و ١٩٣٩ كان الناس يتحدثون عن حرب عالمية ، ولكن بعد عام ١٩٤٥ بدأوا يتحدثون آليا عن حرب عالمية أولى وحرب عالمية ثانية .

والسياق الأخير من السياقات غير اللغوية هو السياق الحضارى ، ونعنى به كل مايتعلق بالموروث الحضارى لجماعة بعينها . ويدخل فى هذا الموروث الميثولوجيا وجميع الحقائق التى تعرفها الجماعة عن أعمال علمائها و كتابها . ولايشترط بالضرورة أن يعرف جميع العلماء والكتاب الذين أسهموا فى تقديم هذا المعطى الحضارى فردا فردا .

ونأتى أخيرا إلى المحيط الرابع ، وهو عالم الخطاب الذى يعنى النظام العام للمدلولات الذى ينتمى إليه النص والذى يحصل من خلاله على صلاحيته وشرعية معناه . إن كل صورة من صور تفسير العالم ، وكل نوع متماسك تماسكا خاصا يعبر عن العالم ، يمكنهما تصوير هذا النظام . إن عالم الخطاب يمكن أن يتعلق كذلك بالمثيولوچيا ، لا باعتبارها من السياق غير اللغوى الحضارى ، ولكن باعتبارها نوعا خاصا من الكلام يعبر عن اعتبار ما أو زاوية ما من العالم . إن الميثولوجيا والأدب والعلوم والرياضيات ، أى

عالم حياتنا العملية ، تمثل جميعها عالم الخطاب ، مادامت موضوعات لحديثنا [١٠١] .

ونود الآن أن نصل بعد هذا العرض المسهب إلى تحديد الفروق السياقية والموقفية بين الشفرتين : المكتوبة والمنطوقة فى النقاط الجوهرية المهمة التالية :

(أولا) أن اللغة المكتوبة لاتقدم المحيطات السابقة جميعها . فالسياق غير اللغوى الفيزيقى لايوجد إلا فى اللغة المنطوقة . وكذلك الحال مع السياق الإمبيريقى . أما السياق التاريخى والسياق الطبيعى ، فإنهما غير قاصرين على اللغة المكتوبة .

(ثانياً) من الفروق المهمة بين الشفرتين كذلك أن الشفرة المكتوبة – على العكس من الشفرة المنطوقة – لاتستخدم السياقات غير اللغوية الممكنة جميعها ، وإنما تتبنى جانباً من تلك السياقات من خلال السياق اللغوى (أو سياق الخطاب Rede - Kontext) . إن السياقات غير اللغوية تبدو بذاتها – أول الأمر – على نحو جزئى فى النص . وربما استخدمت – بعد ذلك – لتساعد فى الوصول إلى تحديدات أخرى .

(ثالثاً) إذا كانت اللغة المكتوبة لغة سياقية (بما أن السياق مرتبط فى جوهره بمادة الخطاب) ، فإن اللغة المنطوقة لغة موقفية (بما أن الموقف يتسع لجميع مناحى الكلام وملابساته وظروفه وحالة المتكلمين وتعبيراتهم البدنية واللفظية) .

(رابعاً) إن أثر السياقات غير اللغوية فى اللغة المنطوقة أقوى وأشد وأكثر ظهورا ومباشرة منه فى اللغة المكتوبة . ولعامل النطق والأداء فى اللغة المنطوقة أثره الواضح المباشر فى خصوبة الجوانب الفونولوجية فى سياق الخطاب المنطوق . ومن الطريف أن

---

(١٠١) Coseriu, Eugenio , Textlingustik, Eine Einfueehrung, Gunter Narr Verlag, 2.,durchges. Auflage. Tuebingen (1981) SS. 94-100

نشير هنا إلى ماذكره رومان ياكسبون R. Jacobson في مقالته الشهيرة (علم اللغة وعلم الشعر) عن هذا الممثل الذياإستطاع أن يؤدى العبارة الروسية القصيرة -segodn ja večerom (مساء اليوم) في نحو أربعين طريقة من الأداء ، حتى يمكن أن نجد أمامنا لفهم ماقال نحوا من أربعين طريقة مختلفة (١٠٢) .

٥ – إذا كانت طريقة إنتاج اللغة المكتوبة تتيح للكاتب فرصة التعديل فيما كتب وإعادة كتابته إذا أراد ، فإن طريقة إنتاج اللغة المنطوقة تتيح للمتكلم فرصة ملاحظة محاوره . وهى ليست ملاحظة بصرية بسيطة ، ذلك أنها تساعده على أن يكيف كلامه ليجعله في متناول محاوره وليكون أكثر قبولاً عنده . ونحن نعلم أن الكاتب ليس له إلا تخيل رد فعل القارىء .

ومن المهم – كما يقول براون / يول – ملاحظة سلوك الأفراد عند اختيارهم الطريقة التى يتعاملون بها فى معاملاتهم المالية ، سواء أكانت بالمواجهة الشخصية أم بالكتابة . ففى بعض الحالات يفضل أن يكون التعامل تفاعلا مباشرا ، أى وجها لوجه ، ولكن يفضل فى حالات أخرى ، ولأسباب مختلفة ، أن يكون التعامل فى مثل هذه الشئون المالية عن طريق المكاتبة (١٠٣) .

---

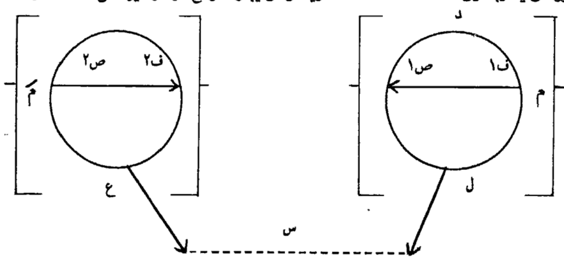
(١٠٢) Jacobson, Roman , Linguistik und Poetik . in : J. Ihwe (Hrsg.) , Literaturwissenshaft und Linguistik, Frankfurt / Main (1972) Bd 1,SS.99-135, S.105

(١٠٣) Brown / Yule, op. cit., p.5

المبحث العاشر

الشفرة المكتوبة والشفرة المنطوقـــــة : الوظائف اللغوية

يرتبط الحديث عن وظائف اللغة بظاهرة التخاطب . وقد ارتبطت هذه الظاهرة بدورها فى علم اللغة الحديث بثلاثة نماذج رئيسية مقترحة للتخاطب أو العملية التبليغية ، وهى : نموذج دوسوسير de Saussure ، ونموذج كارل بولر Karl Buehler ، ونموذج رومان ياكوبسون R. Jacobson . ويمكن أن يبدو نموذج دوسوسير على هذا النحو :



هذا هو النموذج الذى اقترحه دوسوسير ، وهو يعنى " أن المتكلم فى لسان ما :

- يعمد إلى تصور فكرى (ف ١) ملائم ويرفقه بصورة ذهنية (ص١) للفظة التى تعبر عن ذلك التصور فى اللغة المشار إليها .
- ثم يلفظ هذه الكلمة (ل) .
- تنتقل اللفظة عبر المسافة (س) الفاصلة بين المرسل والمرسل إليه .
- يتلقاها المستمع أو المرسل إليه (ع) .

- يقوم بتأويلها من حيث هى صورة صوتية (ص٢) ملازمة للتصور الذهنى (ف٢) الذى تشير إليه .

فإذا كان ١ = ف٢ صح التفاهم بين الرجلين . وبذلك نرى أن عملية التخاطب تتفرع الى فروع ثلاثة :

- المسافة (س) التي تتعلق بنقل الإعلام وتمثل الجانب الفيزيائى لهذه الظاهرة (وتخضع للقوانين الصوتية وكيفية التواصل) .

- الجانب النفسى الفسيولوجى المتمثل باللفظ والاستماع (ل ع) ، مثل مخارج الأصوات وآفات السمع .

- وهناك أخيرا الدائرة (د) التى تضم جانبا نفسيا صرفا وهو التلازم بين الفكرة والكلمة . فى هذا الجزء بالذات يتحدد موضوع الدراسة اللسانية باعتبار اللسان ظاهرة نفسية جماعية .

ويفترض بالتخاطب حتى يؤدى عمله أن يصل بين شخصين يملكان عددا مشتركا من الأفكار والألفاظ[١٠٤] .

أما نموذج كارل بولر فهو معروف فى اللسانيات الحديثة باسم (نموذج الأورجان عند كارل بولر Karl Buehlers Organon - Modell) وهو يبحث العلاقات الجوهرية بين العلامات اللغوية داخل نموذج تبليغى بسيط . وقد لقى نموذج الأورجان الذى قدمه بولر اهتماما ملحوظا من علم اللغة الحديث ، واتخذ منطلقا لتوضيح وظائف اللغة ،

---

(١٠٤)رونالد إيلوار : مدخل إلى اللسانيات ، مرجع سابق ، ص ٤٧ - ٤٨

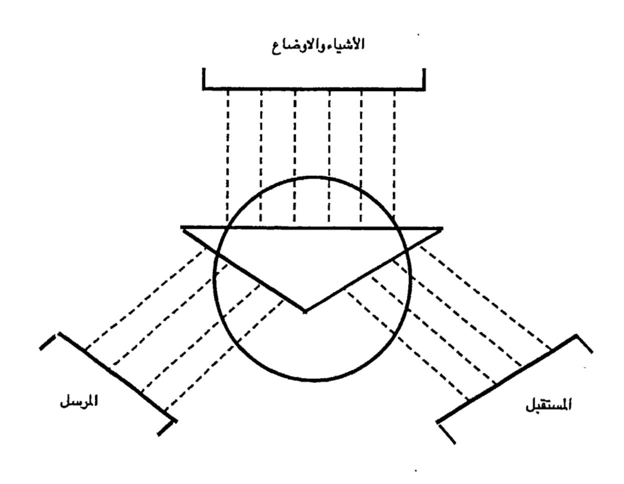
كما اتخذ - فى أعمال علم اللغة النصى - منطلقا لتوضيح بنية الدلالة النصية .

يرى بولر ان العلامة اللغوية ليست فى مبدأ الأمر إلا حقيقة مادية (أى أنه ينظر إليها باعتبارها دالا) تتجاذبها ثلاث علاقات ، هى :-

١ - المتكلم الذى يفصح عما يريده (= المرسل) .

٢ - المستمع الذى يستقبل (= المستقبل) .

٣ - الأشياء والأوضاع المتحدث عنها .



ويهدف بولر بهذا النموذج إلى تحديد وظائف العلامات فى شكل توضيحى . ويحدد بولر وظيفة العلامة اللغوية بأنها ذات أوجه ثلاثة :

- أن تكون رمزا Symbol على الأشياء والموضوعات .

- وأن تكون مؤشرا Symptom على تعبير المرسل .

- وأن تكون علامة Signal فى وظيفتها الندائية أو الاستدعائية Appell عند المستمع(١٠٥) .

وقد طور رومان ياكوبسون نموذج بولر. ومع اختلافهما فى المصطلحات ، فإن ياكوبسون قد جعل للغة ست وظائف لا ثلاث فقط كما نلاحظ عند بولر. من ناحية أخرى ، جعل ياكوبسون عناصر نموذجه أربعة ، هى : المرسل ، والمستقبل ، والسياق (وهو هنا ليس السياق بمعناه المألوف ، وإنما السياق بمعنى الموضوع الذى نتحدث عنه ، وهو ما يناظر الأشياء والموضوعات عند بولر) والخبر Nachricht ، أى التبليغ ، ويدخل فى ذلك النص . وقد أضاف ياكوبسون إلى ماسبق عنصر الوسط الذى يتم فيه التبليغ ، أى الوسط السياقى Kontextmedium الذى يجرى فيه بشكل عام اتصال المرسل والمستقبل أحدهما بالآخر . ولاشك أن هذا الوسط الاحتكاكى أو الاتصالى له أهمية خاصة ، عندما لا يكون هناك مجال للتفاهم المباشر ، أى عندما يكون التفاهم بين المرسل والمستقبل – فى العملية التبليغية – تفاهما غير مباشر ، كأن يكون من خلال نصوص مكتوبة ، أو عبر التليفون ، أو نحو ذلك . ويشير ياكوبسون أخيرا إلى النظام ، أى اللغة التى هى المفتاح الجامع بين المرسل والمستقبل على وظيفة واحدة ، هى فض مكنون الخبر ، أو مايسميه ياكوبسون الشفرة Kode .

---

(١٠٥) Coseriu, op. cit., SS. 53-55

بناء على ماسبق ، تحصل لدينا ست علاقات لا ثلاث ، هى التى تكوّن حدث الخطاب ، فيما يرى ياكوبسون . إنها ست وظائف محددة تقوم كل وظيفة منها بمفردها . وهنا تبدو الوظائف التى تحدث عنها بولر فى صورة أخرى : فالوظيفة الإخبارية أو التعبيرية Kundgabe عند بولر ، تضاهى الوظيفة الانفعاليه Emotive عند ياكوبسون . والوظيفة الندائية أو الاستدعائية عند بولر (Ausloesung (Appell تضاهى الوظيفة التبليغية عند ياكوبسون Konative . ومايسميه بولر بالوصف أو العرض Darstellung هو ما يبدو فى الرسم التوضيحى الذى قدمه ياكوبسون باسم الوظيفة الإشارية referentielle Funktion . ويقدم ياكوبسون وظيفة أخرى لم يعرفها نموذج بولر، ترتبط بالوسط التبليغى أو وسط الاحتكاك Kontaktmedium ، ويسميها – متأثرا فى ذلك باصطلاحات العالم الأنثروبولوجى مالينوفسكى Malinowski – وظيفة قبول الاتصال Kontaktaufnahme ، وتقوم على فحص قناة الاتصال لتحديد مواصفات الاتصال التقنية والفيزيقية والاستعداد النفسى لحدوث هذا الاتصال (١٠٦) .

ويرى كوزيريو أن الحديث عن هذه الوظيفة الأخيرة أمر وارد ، إذا كان الاتصالا اتصالا غير مباشر وواقعاً عن طريق تقنى . ومثال ذلك ما نجده من صيغ فى كثير من الجماعات اللغوية تتكرر عند محادثة تليفونية ، أو جمل لا معنى لها ، أو كلام مكتوب على شاشة تليفزيون ....الخ .

ويقدم ياكوبسون وظيفة أخرى ، تختص بالشفرة وحدها : هى الحديث بالشفرة . ويسمى ياكوبسون هذه الوظيفة التسمية الشائعة فى المصطلح اللغوى ، وهى وظيفة ما وراء اللغة metasprachliche Funktion . والوظيفة الأخيرة عنده هى

---

(١٠٦) Coseriu. op. cit. SS. 56-57

الوظيفة الشعرية poetische Funktion ، وهى وظيفة تختص بتشكيل الخبر وبلورته .

وفيما يلى نموذج ياكوبسون :-

السياق
وظيفة إشارية

المرسل	الخبر	المستقبل
وظيفة انفعالية	وظيفة شعرية	وظيفة ندائية
	الوسط التبليغى	
	وظيفة قبول التبليغ	

الشفـــرة

وظيفة ماوراء اللغة [١٠٧]

ونود – بعد ذلك العرض الموجز السابق لوظائف اللغة فى عمومها عند ثلاثة من أكبر اللغويين المحدثين – أن نحدد فى النقاط التالية موقف كل من الشفرتين : المكتوبة والمنطوقة من الوظيفة اللغوية ومدى تفاوتهما فى أدائها :-

(أولا) تساعد عوامل إنتاج الشفرة المكتوبة ، كالإعداد ، وعامل الوقت ، وغياب المواجهة المباشرة ونحوها ، على وسم اللغة المكتوبة بسمة عقلية أو منطقية ، بينما تساعد

---

(١٠٧) Coseriu, op. cit., S.58

والوظيفة الماوراء لغوية حالة خاصة ، وهى وظيفة تسمية الأشياء فى اللغة ، ويمكننا أن نتحدث باللغة عن اللغة ذاتها ، عن مادتها ومضامينها . فإذا قلنا مثلا : إن كلمة (بحر) مكونة من أربعة فونيمات (حال الوقف) ، فإننا نصف باللغة حقيقة لغوية .

عوامل إنتاج الشفرة المنطوقة ، وهى عوامل معاكسة على وسم اللغة المنطوقة - إلى جانب العناصر العقلية أو المنطقية بالطبع - بسمة انفاعلية وإرادية. ولا ريب ان هذه مسألة نسبية . والحكم فيها على الغالب .

وتعنى الملحوظة السابقة فى إطار رصد وظائف اللغة عند ياكوبسون غلبة الوظيفة الانفاعلية فى الشفرة المنطوقة . وتحدد هذه الوظيفة العلاقات بين الرسالة والمرسل . فالمتكلم هنا أكثر من أى موقف تبليغى آخر، يعبر عن أفكاره ومواقفه إزاء الأشياء والموضوعات والناس الذين يحادثهم . ومن هنا فقد أصاب هاينتز روب Heinz Rupp حين جعل سمة (الذاتية) من أهم السمات الثلاثة الجوهرية للغة المنطوقة . وهى ذاتية ؛ لأن اللغة المنطوقة تدور فى نطاق المتكلم ، بينما تعرف اللغة المكتوبة من قبل المستمع وما تدور حوله من أشياء . وتنطبق مقولة (الذاتية) تماما على الديالوج ، وهو الصيغة الرئيسية للخطاب الشفهى . ويمكن أن تطلق (الذاتية) على اختصار بعض التعبيرات .

ولا ريب أن الاكتمال المنطقى النحوى والصياغة الفكرية ملامح لا تتعارض مع التعبير الانفعالى .

وتبدو (الذاتية) كذلك ، فى استخدام أدوات لغوية يرتفع معدل تكرارها فى الشفرة المنطوقة ، كإمكانيات التنغيم المتنوعة ، وأساليب النداء ، والأمر ، وتصغير التحقير Pejorativa ، والمحسنات Meliorativa ، والتحويرات Alterata ، وحروف التوكيد Abtoenungspartikeln ، وما يسمه هوجو موزر بـ (مفردات الحشو الموضحة المنشطة (verdeutlichende und belebende Flickwoerter) ، التى تعرفها اللهجة الدارجة ولغة الحياة اليومية (نحو : إذن ، فعلا ، حسنا ، حقا ، نعم .....الخ) . وتفترض حروف التوكيد والتحقيق المواجهة الحقيقية بين المتكلم والمستمع

فى موقف تبليغى حقيقى . فهذه الحروف رهينة باشتراكهما فى الكلام ، وهى علامة على احتكاك أحدهما بالآخر كلاميا (١٠٨) .

ونلاحظ هنا أن استخدام المتكلم مفردات الحشو والتوكيد يرتبط إلى حد بعيد برد فعل المستمع على كلامه ، مما يبرز الوظيفة التضمينية أو الأمرية فى الشفرة المنطوقة. وتحدد هذه الوظيفة العلاقات بين الرسالة والمتلقى ، لأن لكل اتصال غايته فى الحصول على رد فعل من هذا المتلقى .

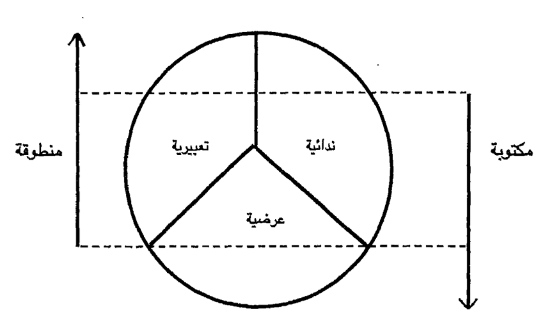
(ثانيا) إن غلبة الإنفعالية والذاتية فى اللغة المنطوقة تعنى - فى إطار رصد كارل بولر لوظائف اللغة - أن الوظيفة التعبيرية Ausdrucksfunktion (التى تحدد العلاقة بين الرسالة والمرسل) والوظيفة الندائية Appellfunktion (التى تحدد العلاقة بين الرسالة والمرسل إليه) تلعبان فى تلك اللغة دورا أكبر نسبيا مما تلعبه فى نظيرتها المكتوبة ، بينما تتغلب الوظيفة الوصفية أو العرضية (بفتح العين وسكون الراء) نسبيا فى اللغة المكتوبة . ويمكن مضاهاة الوظيفة العرضية عند بولر بالوظيفة المرجعية عند ياكوبسون ، فكلتاهما تحدد العلاقات بين الرسالة والموضوع الذى ترجع إليه . فالمسألة الأساسية تكمن - كما يقول غيرو - فى صياغة معلومة صحيحة عن المرجع ، تكون موضوعية ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحتها (١٠٩) ، ولذلك جعلت هذه الوظيفة وظيفة معرفية وموضوعية .

ويمكننا بيان ماسبق بالشكل التالى :-

---

(١٠٨) Soell, op, cit., SS. 60-62

(١٠٩) بيار غيرو : السيمياء ، مرجع سابق ، ص ١٠



وقد اجتهد الباحث اللغوى المعاصر سول فى إبراز وظيفة أخرى ، هى الوظيفة التأكيدية التى يكون فيها الاتصال ذاته هو الهدف [١١٠] . وهذه الوظيفة تقابل وظيفة إقامة الاتصال عند ياكوبسون ، وتهدف إلى تأكيد الإتصال وتثبيته أو إيقافه . ويدخل فى هذه الوظيفة العلامات التى تعمد إلى التأكد من فاعلية الاتصال (آلو ، أتسمعنى ؟) أو إلى لفت انتباه المتحدث أو التثبت من عدم إهماله الخط (قل ، أتسمعنى ؟) ، أو الإشارة بأسلوب شكسبيرى (اصغ إلىّ جيدا) ، فيجيبه المستمع على الطرف الآخر : (هم .. هم) !

وتلعب وظيفة إقامة الاتصال دورا مهما فى الأحاديث العائلية أو الغرامية ، حيث تنعدم أهمية محتوى الاتصال ، فيصير مجرد الوجود فى هذا المكان وتأكيد المرء ارتباطه بالمجموعة هدفى الاتصال الأساسيين . وفى هذه الأحاديث الكل يكررون الكلمات ذاتها ، والحركات ذاتها ، كما أنهم يستعيدون نفس الأخبار والروايات ، بحيث إن اتصالا مبهما يبدو للزائر أو الغريب غير محتمل ، إلا أنه يغدو مرحا

---

(١١٠) Soell, op. cit., S.33

للذى يشترك فيه والذى "يتعلق به " (١١١) .

ويسوق هرمان Hermann أمثلة أخرى تبين غلبة الوظيفة التأكيدية كذلك فى الشفرة المنطوقة ، نحو الأحاديث اليومية ، والمحادثات العابرة بين شخصين عن الجو أو االصحة ...الخ ، أو حتى المحادثات الاجتماعية ذات الصياغة الأسلوبية العالية . ففى مثل هذه الحالات لا يكون من الأدب ألا يقول المرء شيئا (١١٢) .

إن تحاشى الصمت – فى الوظيفة التأكيدية – هو حقا الوظيفة الأساسية للكلام . والصمت والكلام – كما يقول سول ببساطة وعمق – يرتبطان ارتباطا تاما بالشفرة المنطوقة (١١٣) .

إن علاقة المتكلم بمجموع الخطاب والسياق الخطابى أقوى فى اللغة المنطوقة منها فى نظيرتها المكتوبة . ومن هنا نجد – كما يذكر فرانسواز أرمينكو – تعابير إنجازية ، موجهة إلى ربط قولٍ ما ، بباقى الخطاب ، وبكل السياق المحيط . من هنا نعثر على " أجيب " و " أستنبط " و " أستخلص " و " أعترض " . وتأتى هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة ، وأحيانا بالأقوال اللاحقه . إذ إن هذه الأقوال تأكيدية عامة (١١٤) .

---

(١١١) بيار غيرو : السيمياء ، مرجع سابق ، ص ١٢ – ١٣

(١١٢) Hermann, H., Psychologie der Sprache, Berlin (1967) S.8

(١١٣) Soell, op. cit ., S.34

(١١٤)فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية ، ترجمة دكتور سعيد علوش ، مركز الإنماء القومى ، الرباط (١٩٨٦) ص ٦٥

المبحث الحادى عشر

الشفرة المكتوبة والشفرة المنطوقة : الفروق اللغوية والأسلوبية

الشفرة المكتوبة و الشفرة المنطوقة : الفروق اللغوية و الأسلوبية

أود أن أستهل بحث الفروق اللغوية والأسلوبية بين الشفرتين بالإشارة إلى عدة عوامل و اعتبارات مهمة ، و هى :-

(أولا) مراعاة الفروق بين كلام هؤلاء الذين تأثرت لغتهم تأثرا واضحا بالمعاشرة الطويلة و المستمرة لصيغ اللغة المكتوبة و كلام أولئك الذين لا يكادون يتأثرون بتلك الصيغ . و ربما كان هناك من الناس من يقضى مع اللغة المكتوبة وقتا أطول مما يقضيه مع اللغة المنطوقة .

(ثانيا) تتخذ اللغة المكتوبة الأدبية عادة معيارا للغة المكتوبة ، بينما يكون كلام أولئك الذين لم يقضوا سنوات طويلة فى معاشرة اللغة المكتوبة هو المعيار المعتاد للغة المنطوقة .

(ثالثا) بالرغم مما سوف يتبدى لنا هنا من فروق لغوية و أسلوبية بين الشفرتين ، و بالرغم من حرص اللغويين المعاصرين على بيان أثر التفريق بين الشفرتين فى بحث قضية (التنويعات اللغوية Sprachliche Varianten على نحو ما نجد مثلا عند الباحث اللغوى المعاصر كلاوس ديتر بر **Klause-dieter Barnickel** الذى اعتمد تصنيف هاليدى **Halliday** الثنائى للغة [(١١٥)] ، بالرغم من ذلك فإن بعضا من هذه الفروق يصعب وقفه تماما على إحدى الشفرتين دون الأخرى ؛ لما بينهما من تداخلات . إن التمييز بين الصوتى و الكتابى ، أو المنطوق والمكتوب ،

---

(١١٥) Barnickel, Klaus-dieter, Sprachliche Varinten des Englischen, Teil-band 45 , , Erlanagen (1978) SS. 19-20

ويعد تصنيف هاليدى من التصنيفات الذائعة فى علم اللغة الحديث للتنويعات اللغوية .وهو تصنيف =

هو-كما يقول ليونز-مسألة بديهية [١١٦] ، و لكننا نضيف أنه ليس تمييزا حاسما قاطعا على طول الخط فى الوقت نفسه . و لعل ذلك ماحدا لودفيج سول إلى القول بأن كلا من اللغتين : المكتوبة و المنطوقة لا تنفرد بنظم شفهية وإنما بمعايير شفهية [١١٧] . إن المعول عليه هنا هو معيار الشيوع ، أعنى شيوع ظاهرة ما فى إحدى الشفرتين بالنسبة لترددها : قل أو كثر فى الشفرة الأخرى . فالحذف مثلا ظاهرة لغوية معروفة ، قد تقابلنا - بأشكالها المختلفة - فى الشفرة المكتوبة ، و لكنها - كما تدلنا النصوص المنطوقة المسجلة - أشيع و أكثر دلالة على الشفرة المنطوقة .

(رابعا) إن عامل التفاعل بين الشفرتين مما لا يمكن غض النظر عنه فى التحليل الوصفى المنصف ؛ فالمكتوبة تمد المنطوقة بكثير من صياغاتها و تراكيبها وتعابيرها . وللمنطوقة تأثيراتها الظاهرة فى إنشاء المكتوبة و قراءتها معا . وخذ مثالا على ذلك اللغة المكتوبة التى تنحو بعناصرها المعجمية نحو ما يمكن تسميته بمعجم اللغة المنطوقة ، بل إن

ثنائى لأنه يصنفها إلى:

١ - تنويعات ترتبط بالمستخدم : وتتحدد عن طريق الأصل الجغرافى (مثل أمريكا أو انجلترا ، ثم إلى شمال انجلترا وجنوبها ، ثم الجنوب الغربى والشرقى . . . وهكذا). وعن طريق الوضع الاجتماعى والبناء الاجتماعى لأحد متكلمى جماعة لغوية .

٢-وتنويعات ترتبط بالاستخدام : وتتحدد عن طريق تنوع أنماط اللغة المختارة لتناسب مواقف مختلفة . وتتحدد هذه الأنماط من خلال الأبعاد التالية :

(أ) حقل الخطاب : ويشير إلى مايدور حوله الخطاب من موضوعات سياسية ، بيولوجية . . . إلخ .

(ب) هيئة الخطاب : وترتبط بالدور الذى يلعبه النشاط اللغوى في موقف بعينه . وهناك التفريق الرئيسى : لغة منطوقة - لغة مكتوبة ، ثم التفريق الفرعى : المحادثة ، الإعلانات ، التعليقات الرياضية .

(ج) أسلوب الخطاب : ويشير إلى العلاقات بين المشاركين فى الحديث ، وينقسم إلى : دارج ، ورسمى (Barnickel, op. cit., SS. 19-20)

(١١٦) Lyons, J.,op. cit., p.38

(١١٧) Soell, op. cit., S.27

نظم الجملة فيها ينحو نحو المنطوقة كذلك . من ناحية أخرى ، فإن قراءة المكتوبة فى نشرات الأخبار مما يقربها من نظام المنطوقة ، من حيث التخفف من علامات الإعراب الرئيسية بالتسكين و الوقف حيثما يجب الوصل .

(خامسا) إذا كان للغة المكتوبة مستوياتها اللغوية و الأسلوبية التى تختلف بدورها من عصر إلى عصر ، و من كاتب إلى آخر ، بل قد تختلف عند كاتب واحد من موضوع إلى آخر ومن موقف إلى آخر (قارن مثلا بين لغة الجاحظ فى "البخلاء" ولغته فى "البيان و التبيين" أو بين لغة العقاد فى " أنا " ولغته فى " يوميات ") فإن للغة المنطوقة مستوياتها كذلك . فإذا نظرنا إلى تعدد المستويات فى برامج التلفزيون المصرى مثلا ، رأينا أن اللغة المنطوقة فى البرامج الثقافية شبه المتخصصة أو برامج المناقشات السياسية أعلى وأكثر رسمية من اللغة المنطوقة فى برامج المنوعات والمحادثات الخفيفة .

و ننتقل الآن إلى الإشارة إلى الفروق اللغوية و الأسلوبية الجوهرية بين الشفرتين فى ضوء الملاحظات و الاعتبارات السابقة . و نوجزها فيما يلى:-

(١) أن أول ما نلاحظه من اختلافات هو أن إنتاج اللغة المنطوقة أقل غنى فى نظامه النحوى وأقل أشتمالا على المعلومات مما نجده فى اللغة المكتوبة . وفى الوقت نفسه فإن اللغة المنطوقة تحتوى على علامات تفاعل **interactive markers** أكثر مما تظهره اللغة المكتوبة .

و يمكننا بمساعدة الأعمال الوصفية التى أنجزها الباحثون المهتمون باللغة المنطوقة أن نستخلص بعض السمات النحوية الفارقة بين الشفرتين فيما يلى:-

(أ) يقدم نحو اللغة المنطوقة أبنية أقل ثراء مما يقدمه نحو اللغة المكتوبة :-

- تحتوى اللغة المنطوقة على كثير من الجمل الناقصة **incomplete** وهى غالبا عبارة عن عبارات بسيطة متتابعة ، ففى حالات غير قليلة يبدأ المتكلم جملة جديدة قبل أن تكتمل الجملة السابقة شكليا .

- تحتوى اللغة المنطوقة على جمل ثانوية أقل .

- يتميز خطاب المحادثة بالبساطة النحوية ، و تكثر فيه صيغ المبنى للمعلوم التى تظهر انفعالات المتكلم الشخصية **active declarative forms** .

(ب) تعرف اللغة المكتوبة وفرة من أدوات التعليق بين الجمل أو ما يسمى بعلامات ما وراء اللغة **metalinguistic markers** ، مثل : ذلك أن ، حتى إن (وتعرف بالمكملات **Complementisers**) ، أو عندما ، بينما (وتعرف بالعلامات الزمنية **temporal markers**) ، أو ما يسمى بأدوات الربط المنطقية **Logical Connectors** مثل : إلى جانب ذلك فضلا عن ذلك ؛ على أية حال ، بالرغم من ...الخ) .

أما اللغة المنطوقة ، فإنها تميل إلى استخدام أدوات أخرى للربط ، نحو :الواو ، ثم ، لكن ، إذا الشرطية . من ناحية أخرى ، فإن اللغة المكتوبة تظهر وسائل أسلوبية فيما اتسع وامتد من الكلام ، نحو : أولا ، أهم من ذلك ، باختصار ، و نحوها . و هذه الأشياء نادرة فى اللغة المنطوقة .

(ج) يكثر فى اللغة المكتوبة التحويل إلى الجمل الاسمية ، بينما يندر فى اللغة المنطوقة أن نجد أكثر من صفتين محولتين . و تميل اللغة المنطوقة ميلا قويا إلى بناء قطع صغيرة قصيرة من الكلام ، حتى إننا لانجد إلا خبرا واحدا فى وقت واحد ، نحو قولنا :إنها قطة كبرى + رقطاء + ذات أذنين ممزقتين !

وتميل المعلومات المرتبطة بحالة إسنادية بعينها إلى التركيز الشديد فى اللغة

المكتوبة ، على نحو ما نجد فى مثل قولنا : إن الرجل الذى يبحث منذ عشرة أيام عن دوائه فى صيدليات البلد و هو يكابد آلامة قد مات فى المستشفى !

(د) تبنى الجملة فى اللغة المكتوبة بوجه عام من مسند و مسند إليه ، بينما يشيع تماما فى اللغة المنطوقة ما يسميه جيفون **Givon** بالمحور **Topic** و المفسرة **Comment** نحو : القطط + اتركها تخرج !

(هـ) يستعمل المتكلم تركيبا نحويا مكررا فى حالات كثيرة ، و قد يقع التكرير فى الحالة الواحدة عدة مرات . و تعد هذه الخاصية علامة على اللغة المنطوقة و ليست سمة انتقاصية ناتجة عن عجز تعبيرى أو نقص فى الكفاءة اللغوية للمتكلم ، نحو : انظر إلى هذا الطفل + انظر إليه + انظر إلى بسمته الرقيقة + بسمته الصافية + هى سر جماله + هى سر طفولته ...الخ [118] .

(٢) يضعف التعقيد النحوى فى اللغة المنطوقة بتأثير الشفرة الصوتية ، و إشارات اليدين ، و تعبيرات الوجه ، و الإيماءات الأخرى التى تسد مسد الجمل المركبة التى تكثر عادة فى اللغة المكتوبة . و نذكر هنا بأن التنويع الإيقاعى و التغاير الميلودى ، مقترنين بتعبيرات الوجه ، فى الشفرة المنطوقة مما يقوى أثر التعبير المنطوق فى عملية التبليغ [119].

(٣) تؤثر بعض العوامل التى تمايز بين الشفرتين فى إظهار الفروق البنائية

---

(١١٨) Brown / Yule, op. cit., pp. 15-17

واعتمدت فى ذكر الأمثلة أحياناً على مالدى من تسجيلات .

(١١٩) Soell, op. cit., S.22

بينهما ، فتلويحات اليدين و تعبيرات الوجه و نحوها قد تغنى فى اللغة المنطوقة عن استكمال مادة التعبير لغويا ، و هى تعد - إذ ذاك - أدوات إشارية أو تبليغية مهمة . ومن هنا نلاحظ كثرة حالات الحذف أو الفراغات فى تلك اللغة إذا قورنت بنظيرتها المكتوبة . إنه إذن نوع من ملء الفراغات اللغوية بإشارات غير لغوية . و قد مرت بنا إشارة لود فيج سول إلى أن الفراغات فى الشفرة المنطوقة عامل من عوامل توفير الوقت للمتكلم ، بينما لاتخضع اللغة المكتوبة لضغط عامل الوقت أو الزمن **Zeitdruck** ، فهى تعطى الكلام حقه وتنظمه على مهل ، و تسمح بإعادة النظر فيه ، دون أن يبدو لذلك كله آثار واضحة[١٢٠] .

(٤) فى دراسة علاقة التوالى بين المسند إليه و المسند ، يلاحظ سول أن حركتهما فى الشفرة المنطوقة حركة متوترة وتعبيرية . وهى حركة مرتبطة كذلك بالتنغيم **In-tonation** ؛ فالمسند إليه المتقدم ينبر نبرا أشد من المسند إذا تقدم[١٢١] .

(٥) تكشف دراسة التركيب النصى لكلتا الشفرتين عن ميل النصوص الشفهية إلى التبسيط و النقصان ، و الميل إلى البدء بالأسماء ، و الميل إلى التحويل و الاستبدال ، فجملة مثل : فى ١٩١٧/٩/٢٦ توفى فى باريس الرسام الفرنسى إدجاردوجلاس ، يمكن أن تتحول إلى صيغة شفهية عن طريق إضافة (قول) ما يحدد الزمن ، مثل : فى مثل هذا اليوم ، منذ ثلاثة و سبعين عاما ، فى ١٩١٧/٩/٢٦ توفى ....الخ .

من ناحية أخرى ، فإن الدراسة النصية تكشف عن سمات أخرى تميز مطالع النصوص الشفهية أو النصوص المنطوقة . و قد فطن لود فيج سول إلى سمة رئيسية

(١٢٠) Soell, op.cit.,S.21

(١٢١) Soell, op. cit., S.58

منها، هى وفرة الصيغ الاستفهامية و الأمرية فيما أسماه بجمل المطلع Vorspann-saetze ، نحو :

- أنت ، إنك المسئول عن كل ما حدث .
- هل سمعت ؟ افتتح مطعم جديد أمس فى ...[(١٢٢)] .

و يلاحظ كذلك ميل جملة المطلع فى النصوص الشفهية الحوارية غالبا إلى القصر ، بل إلى القصر الشديد ، حتى تبنى من كلمة و احدة ، لتعلقها بكلام سابق . و لاتعرف الجملة الاستهلالية فى اللغة المكتوبة هذا القدر من القصر مهما حاكت اللغة المنطوقة ، بل غالبا ما تميل فى اللغة المكتوبة الأدبية إلى الطول ، و الطول المفرط ، من حيث توظيفها للوصف و عرض التفاصيل الصغيرة و نسج خيوط الفكرة على مهل ، سواء توسلت إلى ذلك بالجملة الاسمية أم الفعلية أم شبه الجملة ، فهذا من الأمور التى تتباين فيها أساليب الكتاب .

(٦) وفى دراسة الترددات المحددة للشفرتين spezifische Frequenzen يلاحـظ أن النصوص المكتوبة تتسم بأن ثروتها أكثر تشعبا واتساعا من النصوص الشفهية . من ناحية أخرى ، فإن درجة تكرار الألفاظ المفردة فى النصوص الشفهية أعلى مما تعرفه النصوص المكتوبة . ومن هنا غدا التكرار سمة مميزة للغة المنطوقة [(١٢٣)] . ويلاحظ أن المتكلم يستعمل قاموسا عاما استعمالا نمطيا ، نحو : قدر من ، الحصول على، يعمل ، شىء (حاجة) ، لطيف ، جميل ، أشياء مثل هذا ..الخ .

(٧) يلاحظ أن الســرد الشفهى لحقيقة أو موضوع ما أطول عادة من السرد

(١٢٢) Soell, op. cit., SS. 62-63

(١٢٣) Soell, op. cit., S.64

المكتوب . فالنسبة بينهما – تبعا لإحصاءات فريس Fraisse و بريتون Breyton – هى١,٨٥ : ١ ، أى أن السرد الشفهى يكاد يصل إلى ضعف السرد المكتوب . ومن هنا يلاحظ لودفيج سول أن الكثافة Dichte الأقل للنص الشفهى (يعنى كثافة الألفاظ وتعددها و اتساع ثروتها) تعوض عن طريق الحجم الأكبر (١٢٤) .

وأود أن أشير هنا إلى أننى قد قمت بتجربة تطبيقية لقياس الكثافة بين النص المكتوب و النص الشفوى . و كان مجال التطبيق الحكاية العاشرة من ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ ، و المعروفة باسم (التوت و النبوت) . طلبت من ستة طلاب – لاتعوزهم القدرة على الكتابة –أن يقوموا بتلخيصها مكتوبة مرة و محكية شفهيا مرة . و قارنت بين كثافة النص المكتوب و النص المسجل (و كانت المدة الزمنية المعطاة للكتابة و الحكاية واحدة هى خمس عشرة دقيقة) . و كانت نتيجة المقارنة كالتالى : –

(**أولا**) لم يبد تأثر الطلاب ، فى الكتابة و الحكاية ، بلغة النص الروائى المكتوب إلا على نحو ضئيل للغاية .

(**ثانيا**) كاد التأثر بلغة الحوار و معطياته القصصية فى النص المكتوب أن يكون معدوما ، بينما بدا هذا التأثر فى النص الشفهى واضحا نسبيا .

(**ثالثا**) أظهر الطلاب فى النص المكتوب قدرة تعبيرية و أسلوبية أعلى مما لوحظ فى النص الشفهى الذى بدا فيه التأثير باللغة الدارجة : مفردات و تراكيب و اضحا .

(**رابعاً**) بلغت حالات التكرار اللفظى و المعنوى فى النص الشفهى حوالى ثلاثة أضعاف الحالات المماثلة فى النص المكتوب . و يرتبط ذلك ارتباطا واضحا بالتأثر بطبيعة

---

(١٢٤) Soell, op. cit., S.64

اللغة الدارجة .

(خامساً) بدت الجملة فى النص المكتوب أطول منها فى النص الشفهى . بيد أن العدد الإجمالى لجمل النص الشفهى تراوح بين : ١٨٠ – ٢٣٠ جملة بينما تراوح العدد الإجمالى لجمل النص المكتوب بين : ٧٥ – ١١٥ جملة . و بناء على ذلك تكون النسبة بينهما هى : ١ : ٢ تقريبا . و هى – تقريبا – النسبة ذاتها مع العدد الإجمالى لمفردات كلا النصين .

(سادسا) بدا لى من المقارنة أن نسبة الكثافة و اختلافها بين النصين ترتبط بطبيعة اللغة المنطوقة (من تلقائية و عناية بالتفاصيل و ترجيع و حشو الخ) أكثر من ارتباطها بالقدرة الفردية على الكتابة و الإنشاء .

(٨) وتنتج الفروق اللغوية بين الشفرتين كذلك من حاصل ترددات أقسام كلامية معينة ، إذ يبدو أن نصيب (الصفة) فى النص المكتوب أعلى -بوجه عام – منه فى النص الشفهى[١٢٥] .

وقد وصل جان بلانكن شيب **Jeane Blankenship** فى بحث هذه المسألة فى اللغة الإنجليزية إلى أن حصة الصفات فى الخطاب المكتوب تزيد عن حصتها فى الخطاب الشفهى بحوالى ٣٥٪[١٢٦] .

وقد عنى الباحث اللغوى دكتور سعد مصلوح بفحص نسبة الفعل إلى الصفة فى

(١٢٥) Soell, op. cit., S.65

(١٢٦) Blankenship, Jeane, A Linguistic Analysis of Oral and Written style , in : The Quarterly Journal of Modern Speech 48 (1962) pp. 429-422,p421.

ضوء معادلة بوزيمان ، للتميز بين الأساليب وأنماطها . ويلاحظ أنه اقتصر في نماذجه التطبيقية المختارة على اللغة المكتوبة : أدبية وغير أدبية ، ولم تكن هناك من نماذجه ما يمثل اللغة المنطوقة . ومما انتهى إليه الدكتور مصلوح : أن لغة المونولوج والأحاديث الطويلة نسبيا يصاحبها عادة انخفاض قيمة (ن ف ص) ، على حين ترتفع هذه القيمة فى الحوار والأحاديث القصيرة المتسمة بالحيوية (١٢٧) ، ما ينبه إلى مراعاة عامل الشكل والطول فى حساب القيمة .

(٩) من منظور دراسة علو الحشو وانخفاضه ، يلاحظ أن اللغة المنطوقة أكثر حشوا من نظيرتها المكتوبة . ويرجع ذلك إلى أن المتكلم ينتج عددا كبيرا من الفضلات اللغوية أو أدوات الحشو الجاهزة **prefabricated fillers** مثل : حسنا ، أظن ، تعلم ، إذا نظرت إلى ما أعنى ، بالطبع ، وهكذا فإن ... الخ (١٢٨) . ولنا هنا أن نقارن بين " المنطوق / المكتوب " من ناحية ، و" الصوتى / الخطى " من ناحية أخرى . ويستنتج من المقارنة أن النص المكتوب يحتاج عملا أكبر مما يحتاجه نص شفهى فى مثل طوله .ويعنى ذلك أن النص المكتوب يحتوى على معلومات أكثر مما يحتوى عليه نص شفهى ؛ فالنص الشفهى أكثر حشوا **redundanter** : فإذا أردنا أن نخبر عن معلومة بعينها ، توقعنا أن يكون النص الشفهى أطول (١٢٩) .

وفضلا عن كثرة الحشو ، نجد سمة أخرى هى الاسترسال فى الخطاب المنطوق ،

---

(١٢٧) سعد مصلوح (دكتور) : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٨٨.

(١٢٨) Brown / Yule, op. cit. p.17

(١٢٩) Soell, op. cit., SS. 66-

فى مقابل التركيز والتجميع فى الخطاب المكتوب ، ذلك أن " التواتر العام للمعلومات الواردة فى الخطاب المنطوق يدل على أنها معلومات مسترسلة بأفكارها . أما المعلومات الواردة فى الخطاب المكتوب فإنها أفكار مجمعة فى جمل طويلة مظهرة العلاقات القائمة بين هذه الأفكار " (١٣٠) .

وإذا قارنا بين " نص فونيمى " و " نص خطى " لاحظنا أن النص يحتوى عادة على حروف أكثر مما يحتوى عليه من فونيمات . ويعنى هذا الأمر أن النص الخطى أكثر حشوا من نظيره الفونيمى . بعبارة أخرى : يحتوى الفونيم على معلومات أكثر مما تحتوى عليه الحروف .ومن ضم هذين العاملين أحدهما إلى الآخر ، نصل إلى أعلى حشو فى نص مبنى بناء شفهيا (الرسالة المنطوقة) يتجلى فى إنجازه الخطى (الرسالة الخطية) ، وأن أقل حشو فى نص مكتوب (رسالة مكتوبة) يتجلى فى إنجازه الفونيمى (رسالة فونيمية) . وبين هذا وذاك تقع النصوص الشفهية والمكتوبة فى إنجازها المناسب (منطوق – فونيمى ، مكتوب – خطى) . وهذا كله يعنى أن الحشو الضئيل فى نص مبنى بناء مكتوبا يتوازن مع الحشو الأعلى فى الإنجاز الخطى ، والعكس صحيح فى النصوص المبنية بناء شفهيا (١٣١) .

(١٠) فى دراسة أنماط الجملة الاستفهامية بين الشفرتين ، يلاحظ أن الشفرة المنطوقة أكثر ميلا إلى الاستفهام التنغيمى **Intonationsfrage** من الشفرة المكتوبة . إنها تميل إلى الاستفهام بالتنغيم ؛ للاتصال اللغوى المباشر بين المتكلم

---

(١٣٠) مازن الوعر (دكتور) : دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، دمشق (١٩٨٩) ص ٨٣ .

(١٣١) Soell, op . cit., SS.66-67

والمستمع ، فى مواضع تستخدم فيها الشفرة المكتوبة الاستفهام بالأداة . والاستفهام التنغيمى نوع من التوكيد من جانب المتكلم ، وهو يعبر عن الدهشة والمفاجأة والانفعال ، على حد قول سول (١٣٢) . وهى علامات أشد التصاقا باللغة المنطوقة .

هناك نمط آخر من الجمل الاستفهامية ، وهو الاستفهام المنفى بعد جملة مثبتة ، نحو قولنا : إنه موجود ، أليس كذلك ؟. ويشترك هذا النمط مع الاستفهام التنغيمى فى طبيعته الانفعالية ، فهما يمنحان القوة للاستفهام الخبرى ، ويكثران فى حالة الغلط والسهو ، وفى حالة المفارقة ، وفى حالة الإثارة ، وفى حالة الغضب . إنهما يعطيان لاستفهامنا درجة أقوى من التشديد والإصرار (١٣٣) .

وجدير بالذكر أن إحصاء سول قد أظهر أن الاستفهام التنغيمى يتراوح فى النصوص المنطوقة بين ٨٠ ٪ – ٦ر٩٤ ٪ ، بينما يتراوح فى النصوص الأدبية المنطوقة بين : ٧٨ ٪ (روايات) – ٨٦ ٪ (نصوص شعبية) . ويتراوح الاستفهام التنغيمى فى النصوص المكتوبة بين : ١ ٪ – ٧ ٪ فقط (١٣٤) .

وتظهر هذه النسب الفرق الكبير بين الشفرتين فى استخدام الاستفهام التنغيمى . وإذا كان الإحصاء السابق قد أجرى على نصوص من اللغة الفرنسية ، فإن حاصله لا يختلف كثيرا عنه فى النصوص العربية . ومن هنا تبدو هذه السمة سمة عامة فى اللغة المنطوقة مقارنة بنظيرتها المكتوبة .

وقد أجريت إحصاء على نص مسرحى ، باعتبار النص المسرحى كتب لينطق به

---

(١٣٢) Soell, op.cit., S.139

(١٣٣) Soell, op. cit., S.140

(١٣٤) Soell, op. cit., S.141

الممثلون على خشبة المسرح ، ولذلك فهو أقرب النصوص المكتوبة إلى التعبير الشفهى .
وكان هذا الإحصاء على مسرحية (الأيدى الناعمة) لتوفيق الحكيم . وهى من المسرح الاجتماعى الذى تخلص فيه الحكيم - إلى حد ما - من تعسف الأسلوب الفردى الكتابى المحكم ، مستعينا بما أتيح له من علم ومعرفة بمواصفات لغة الحوار المسرحى الطبيعى ٠
وكانت نتيجة الإحصاء كالتالى :

الفصـــول	الاستفهام التنغيمى		الاستفهام بالأداة	
	مرات التردد	النسبة ٪	مرات التردد	النسبة ٪
١	٧٥	٤٣,٣	٩٨	٥٦,٧
٢	٧٣	٤٤,٤	٩١	٥٥,٦
٣	٧٠	٣١,٨	١٢٧	٦٨,٢
٤	٥٢	٣٦	٨٤	٦٤

وبالرغم من تفاوت فصول هذه المسرحية - كما يبدو من الإحصاء السابق - فى النسبة المئوية للاستفهام التنغيمى (ولهذا أسبابه الفنية الموضوعية التى لا تعنينا الآن) ، فإن الذى لا خلاف عليه أن الاستفهام التنغيمى يزاحم الاستفهام بالأداة ، ويكاد متوسط الاستفهام التنغيمى وحده يقرب من ٤٠ ٪ من مجموع الجمل الاستفهامية ٠ وهى نسبة عالية حقا تجعله سمة أساسية من سمات التعبير الشفهى أو اللغة المنطوقة وما ينحو نحوها من نصوص أدبية ٠ ويبدو هذا الأمر واضحا وضوحا لا شك فيه إذا أدركنا أن الاستفهام التنغيمى يتراوح فى النصوص المكتوبة الخالصة بين :١٪ إلى ٧ ٪ لاغير .

أضف إلى ما سبق كثرة ما يمكن تسميته بـ (الاستفهام المقلوب) فى التعبير الشفهى ، وهو الاستفهام الذى تتأخر فيه الأداة ٠ ونجد أمثلة على هذا النوع من تلك

المسرحية ما يلى :-

- أحدثك عن ماذا ؟ (١٣٥) .

- فهمت ماذا ؟ (١٣٦) .

- ولكن ماذا ؟ (١٣٧) .

- يسبقنا من ؟ (١٣٨) .

- ضم ماذا إذن ؟ (١٣٩) .

ويرتبط هذا النمط من أنماط الاستفهام بالأداة من حيث تردده وخواصه التركيبية بالديالوج . ولم تهتم البحوث التطبيقية بمعالجة هذا النمط . ويمكننا أن نجعله نوعا من التأكد من جانب المتكلم ؛ لارتباطه بكلام متحدث آ خر يؤثر فى تركيبه .

إن الاستفهام التنغيمى يبدو الشكل المألوف للكلام الشفهى ، دون أن يكون لذلك ارتباطه بالتدرج الطبقى للمستويات اللغوية ؛ فالمتكلمون المتعلمون والمثقفون يستخدمونه كثيرا على نحو ما يستخدمه " البسطاء " أوغير المتعلمين تماما . وإذا كان الاستفهام التنغيمى فى ارتباطه بالكلام التلقائى (غير المعد) يبدو سمة شفهية جوهرية ، فإنه ينبغى ملاحظة اقتراب النصوص الشعبية - باعتبارها ترديدا وترجيعا شفهيا - من نصوص الروايات فى النسبة المئوية للاستفهام التنغيمى .

---

(١٣٥) توفيق الحكيم : الأيدى الناعمة ، مكتبة الآداب ، بدون تاريخ ، ص ١٢٠
(١٣٦) المرجع السابق ص ١٤٠
(١٣٧) المرجع السابق ص ١٤١
(١٣٨) المرجع نفسه ص ١٥٧
(١٣٩) المرجع نفسه ص ١٦١

إن النسب العالية لتردد الاستفهام التنغيمى فى الشفرة المنطوقة تبين أنه قد بات الصورة الاستفهامية العامة • وليس لنا – إذ ذاك – أن نعده استفهاما موحيا -sugges tiv أو تعبيريا expressiv • وينتج عن ذلك بالضرورة أن تكون نسب تردد الاستفهام بالأداة فى الخطاب الشفهى الخالص نسبا منخفضة ، قد تصل أحيانا إلى ١ ٪ فقط ، فى مقابل النصوص المكتوبة التى قد يصل الاستفهام بالأداة فيها إلى ٩٩ ٪ (١٤٠) .

(١١) مـن منظـور قضيـة تجزئة الخطاب الشفهى ، عنى العلماء بما أسموه بـ (علامات التجزئة) أو (الفصل) Gliederungssignale ؛ فاستفتاح الجملة بكلمة مثل (إذن) باعتبارها مدار الأمر أومحرك الكلام chevilles ، يعد من الكلمات التى تدرس تحت ما يعرف ب (علامات التجزئة) .

و ينظر العلماء إلى الكلمات السابقة و أمثالها على أنها من كلمات الحشو -Flick woerter . و الحق أن مسألة (كلمات الحشو) لايمكن – كما ينبه سول – أن تدرس فى إطار الجملة ، و إنما هى مسألة من مسائل علم اللغة النصى Textlinguistik . ولذلك فإن حصيلة ما جاء به النحاة التقليديون الذين لم يكادوا يتجاوزون حدود الجملة ، كانت – بشأن هذه المسألة – حصيلة ضئيلة جدا (١٤١) .

و يلاحظ أن اللغة المنطوقة تميل – بعامة – إلى استخدام كلمات الحشو أكثر مما

---

(١٤٠) Soell, op. cit ., SS.141-142

(١٤١) Soell, op. cit., S.163

والمرجع فى هذه المسألة هو دراسة جيلش Guelich المستفيضة عن اللغة الفرنسية . وهو صاحب مصطلح (علامات التجزئة G-Signal). راجع كتابه :

Guelich,E., Makrosynatax der Gliederungssignale im gesprochen Fran-zoesischen, Muenchen (1970).

نعثر عليه فى اللغة المكتوبة . و يلاحظ – من ناحية أخرى – أن الخطاب الشفهى ، لاسيما فى حالة الديالوج ، يتعرض للقطع المتكرر من جانب المشاركين فى الكلام . و قد يتكرر هذا القطع بتأثير ظروف أخرى . ولايمكن أن تمحى آثار القطع فى الشفرة المنطوقة كما تمحى فى نظيرتها المكتوبة [١٤٢] .

وجدير بالانتباه هنا أن القطع قد ينتج كلمات تعد حشوا فى الكلام ، مثل : يعنى ...، و أخيرا ... ، المهم ... و نحوها .

(١٢) تختلف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة فى بعض جوانب نظام الوقف فى العربية . و لعل أهم مظاهر هذا الاختلاف الوقف فى اللغة المنطوقة كثيرا حيثما يجب الوصل فى نظام اللغة المكتوبة . و نحن نعلم أن اللهجات العربية المحكية القديمة قد عرفت صورا من الوقف لم تعرفها اللغة الفصيحة المشتركة [١٤٣] . و لعل ذلك من الأسباب التى حدت بالمستشرق المعروف هاريس بركلاند إلى القول بأن الوقف مفهوم نسبى [١٤٤] . و لعل حكم بركلاند على نظام الوقف فى العربية بالنسبية ينطبق على ما استقرأته من نصوص منطوقة معاصرة ؛ ففى هذه النصوص يكثر تقطيع الجمل و تجزئتها وتقصيرها بتأثير

(١٤٢) Soell,op. cit., S.170
ويتفق الباحثون على أن النقط الثلاث ... ترمز إلى قطع المتكلم كلامه ثم مواصلته أو إعادة تركيبه . وترمز النقط الثلاث بين قوسين (...) إلى قطع المتكلم كلامه وعدم إكماله اعتمادا على سياق الكلام . ويرمز السهم الصاعد يميناً ↗ إلى قطع المتكلم كلامه مدة قصيرة بحثا عن الكلمة المناسبة .

(١٤٣) من ذلك مثلا الوقف بالسكون حيثما يجب الوصل ، مما يؤدى إلي تضعيف المثلين ، نحو قولهم : هذا جيبَ بكر ، أى جيبُ بكر ، وثوبّ بكر ، أى ثوبُ بكر :
(ابن جنى : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ١٢٧/٣) . ويمكننا أن نجعل ذلك دليلا علي قدم الوقفات الداخلية في العربية .

(١٤٤) Birkeland, Harris, Altarabische Pausalformen, Oslo (1940) S.5
وقد كرربركلاند هذه الفكرة مرة أخرى فى عمل آخر بقوله : " إن الصيغة الوقفية للكلمة هى الصيغة التى تبدو فيها منطوقة بمفردها ، فى نظير الصيغة المنطوقة فى الدرج .ويتضح من هذا التعريف أن الوقف =

الوقفات الداخلية التى لاتعرفها العربية الكلاسيكية تأثيرا مباشرا . و يمكننا - بهذا الصدد - أن نجعل قراءة العربية المكتوبة على نحوما نألفها فى نشرات الأخبار مثلا ممثلة لحالة و سطى من نظام الوقف بين العربية المنطوقة و الوقف فى عربية النحاة ، ذلك أن قراءة النشرة تقتضى و قفا بالتسكين حيثما لايلزم ذلك فى قواعد الوقف القديمة . و هو نوع من التسهيل الذى تتسم به اللغة المنطوقة و مانحا نحوها من نصوص مقروءة . وينبغى هنا أن نفرق بين الوقف فى نصوص بنيت بناء مكتوبا كنشرات الأخبار و نصوص منطوقة غير معدة ؛ فالوقف الداخلى و التسكين فى الأولى اصطناعى ، لأنه مرتبط بالعملية التبليغية و موجباتها فى لغة الإعلام المسموع ، أما الوقف الداخلى فى الثانية فهو مرتبط بالخصائص البنائية الجوهرية للغة المنطوقة و ما يؤثر فيها من عوامل التذكر ، و التلقائية ، والتخلى شيئا ما عن النظم المحكم ، فهو إذن نابع من طبيعتها و معبر عنها و ليس دخيلا عليها لغاية تبليغية خارجية .

ومن المفيد هنا أن نتعرف على محاولة براون / يول - بعد دراسة نصية تطبيقية - تصنيف حدود الطول النسبى للوقفات - و فقا لمدة الاستغراق الزمنى **Duration**- إلى ثلاثة أصناف : -

١ - الوقفات المديدة **extended pauses** : و هى و قفات شديدة الطول ،

= فكرة نسبية relative notion فهو فكرة بعينها جوهرها نطق الكلمة حتى تتبعها مباشرة كلمات أخرى أو لاتتبعها :

Birkeland, Harris , Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect, Oslo (1952) p,9

يتراوح مداها بين ٣,٢ - ١٦ ثانية (و هى الوقفات التى تقع فى المواضع التى يزود فيها المتكلم سامعه بمعلومات كافية عما يصفه أو يتحدث عنه) . و يرمز إلى هذا النوع من الوقفات بالرمز + + .

٢ - الوقفات الطويلة **long pauses** : و يتراوح مداها الزمنى بين ١ - ١,٩ من الثانية . و يرمز لهذا النوع بالرمز + .

٣ - الوقفات القصيرة **short pauses** : ويتراوح مداها الزمنى بين ,١ - ,٦ من الثانية . و يرمز لهذا النوع بالرمز - .

والحق أن مدى الوقفات السابقة يرتبط ارتباطا مباشرا بالنص المدروس عند هذين الباحثين ، فهو مدى نسبى . و المتفق عليه أن الوقفات المديدة و الطويلة تعبر عن حدود الوحدات الإخبارية (و حدات المعلومات **information units**) [١٤٥] ، بينما تعبر الوقفات القصيرة عن جزء داخلى من الوحدة [١٤٦] . و هنا يكمن الفرق بين الشفرة المنطوقة و الشفرة المكتوبة ، فلا ترتبط الوقفات الداخلية المديدة أو الطويلة بحدود الوحدة الإخبارية دائما ، وإنما تؤدى و ظيفة الوقفات القصيرة فى اللغة المكتوبة ، من حيث

---

(١٤٥) وهى تعنى الوحدات الصغرى في بنية الخطاب والتى تمكن المتكلمين من تحديد حالة المعلومة أو المعلومات التى يشتمل عليها جزء من الخطاب لمخاطبيهم . وقد طور هاليدى Halliday فكرة وحدة المعلومة على مستوى العبارة أو الجملة فى مدرسة براغ تطويرا يرتبط باهتماماته وتصوراته عن بنية النصوص . وهو يقسم المعلومة إلى :

(أ) معلومة جديدة new information وهى التى يرى المرسل أنها غير معروفة عند المرسل إليه .

(ب) المعلومة القديمة أو المعطاة من قبل given information ، وهى التى يرى المرسل أنها معروفة عند المرسل إليه ، إما لأنها موجودة فيزيقا فى السياق ، أو لأنها ذكرت بالفعل فى الخطاب :

(Brown/ Yule, op. cit., pp. 153 - 154)

(١٤٦) Brown / Yule, op. cit., pp. 162-163

ارتباطها بجزء داخلى من الوحدة لاغير .

إن المدى الزمنى للوقفات الداخلية فى الشفرة المنطوقة أشد تفاوتا و أقوى أثرا فى تركيب الجملة ، إذ تصبح سلسلة من الحزم الكلامية التى تميل إلى القصر ، بل إلى القصر الشديد (كالوقف على حرف جر مثلا) . وتخضع هذه الحزم الكلامية لتصرف المتكلم فى كيفية تنظيمها داخليا خضوعا قويا . و للتذكر و التلقائية و أداء المتكلم الخاص آثارها المباشرة فى تفاوت المدى و حرية التنظيم .

إن الكلام التلقائى غير المعد يدلنا - كما يذكر براون / يول - على أن المتكلمين ينطقون وحدات يرتبط بعضها بالبعض الآخر ارتباطا إيقاعيا ، دون أن يتقيد نطق تلك الوحدات دائما بالمكونات النحوية ، ولكنها تنطق كما يبدو للمتكلم ارتباط بعضها بالبعض [١٤٧] . و نود أن نقدم هنا نموذجين لإظهار الوقفات الداخلية فى كل من الديالوج و نشرة الأخبار : -

القطعة النصية الديالوجية :

أ) إلى أى حد ++ استطاعت رواية - فى بيتنا رجل + أن تعبر عن فكر إحسان عبد القدوس السياسى ؟ + +

ب) كانت الـ ↗ فكرة الوطنية + أو الحماسة الوطنية - هى + استقلال ... استقلال مصر + و طرد الاحتلال الانجليزى - من خلال - عمليات مقاومة الاحتلال - والكتابة ضده - و النضال + ضد + الوجود الانجليزى فى مصر - فى ذلك الوقت ... إحسان عبد القدوس + كما تكلمنا ↗ انفعل بالواقع الذى عاشه + و هو - فترة النضال

(١٤٧) Brown / Yule, op. cit., p.157

+ ضد الاستعمار الانجليزى + + ومن هنا – كانت فى بيتنا رجل + يعنى ↗ متوافقة مؤكدا + مع فكر إحسان عبد القدوس + و هى أيضا .. رواية فيما أعتقد ↗ مستوحاة من الواقع المصرى + + فى بيتنا رجل – كما تعرفين – أسرة مصرية – عادية جدا + لم يكن لها دخل + + مباشر + بالعمل السياسى و الوطنى – و ضعت فى + موقف إيواء فدائى هارب + فكان لابد – لكل أسرة + يعنى ↗ تستنفر – أو تستنهض ما بداخلها من حس و طنى + و تدافع – عن هذا الفدائى + إلى + النهاية + +

النص الإخبارى (من نشرة إخبارية إذاعية) :

(تبدأ فى عمان + غدا الجمعةْ + تبدأ اجتماعات اللجنة التحضيريةْ + للإعداد لاجتماع الدورة العاشرةْ + للجنة المصرية الأردنية المشتركةْ + التى ستعقد هناكْ – فى أواخر الأسبوع القادمْ + برئاسة الدكتورْ ... رئيس الوزراء + و السيد ...رئيس وزراء الأردنْ + + و من المقررْ – أن يصل الدكتورْ ... وزير الدولة للتعاون الدولى – إلى عمان غداً – ليرأس وفد مصر فى اجتماعات اللجنة التحضيرية المصرية الأردنيةْ + التى ستبحث تقارير اللجان الفرعية فى مختلف المجالاتْ + و ذلك بالنسبة لما تم تنفيذهْ – من مشروعات مشتركةْ + و قرارات تخدمُ + و تدعم العلاقة بين مصر و الأردنْ + كما تبحث اللجنةْ – عددا من القراراتْ + و المشروعاتْ + التى سيتم تنفيذها فى المستقبلْ + بين البلدينْ + فى المجالات المختلفةْ + +)

و يمكننا باختبار القطعتين السابقتين أن نسجل الملحوظات التالية : –

(أ) إذا قارنا بين هاتين القطعتين بعامة و بين نص آخر مكتوب يخضع خضوعا تاما لقوانين الوقف فى عربية النحاة ، للاحظنا الاختلاف البين فى عدد الوقفات و فى مواضعها كذلك ، فقد بنى النصان السابقان على أساس التجزئة مع اختلافهما فى

الكيفية و الأسباب على نحوما أظهرنا سابقا .

(ب) ينبغى أن يكون العدد الإجمالى للوقفات فى النص الديالوجى : داخلية وخارجية ، مقارنة بقوانين الوقف القديمة ، حوالى ١٢ وقفة ، ولكننا نجد هنا حوالى ٥٠ وقفة ، و يستنتج من ذلك أن نسبة الوقفات فى الخطاب المنطوق إلى نسبتها فى الخطاب المكتوب تبلغ حوالى ، ١ : ٤ ، أو بعبارة أخرى تبلغ الوقفات الداخلية و الخارجية مجتمعة فى الخطاب المنطوق أربعة أضعاف نظائرها فى الخطاب المكتوب !

(ج) ينبغى أن يكون العدد الإجمالى للوقفات فى النص الإخبارى الإذاعى : داخية وخارجية ، مقارنة بقوانين الوقف القديمة ، حوالى ٩ و قفات ، و لكننا نجد هنا حوالى ١٤ وقفة . و يستنتج من ذلك أيضا أن نسبة الوقفات فى الخطاب المعد الملفوظ الآن فى نشرات الأخبار و نحوها من برامج إخبارية و ثقافية معدة إعدادا خاصا ، إلى نسبتها فى قراءة النص ذاته و فقا لقوانين الوقف الكلاسيكية هى ١ : ٢,٥ ، أو بعبارة أخرى تبلغ الوقفات فى العربية المقروءة اليوم فى النشرات الإخبارية و نحوها حوالى ضعف عددها فى القراءة المعتادة وفقا لقوانين الوقف فى كتب النحاة .

(د) من ذلك يبدو اختلاف النص المنطوق عن النص المعد اختلافا واضحا ، كما يبدو من ناحية أخرى وقوف نشرات الأخبار ونحوها موقفا وسطا بين الوقف فى الخطاب المنطوق التلقائى و الوقف فى العربية المكتوبة الكلاسيكية .

(هـ) يعرف النص المنطوق وقفات لايعرفها النص المعد المقروء ، نحو وقفات التذكر والبحث عن الكلمة المناسبة التى يرمز لها هنا بالسهم المائل الصاعد جهة اليمين↗ ، وهى وقفات تسبق عادة بعلامات لغوية مثل (أعنى) ، (يعنى) و (أعتقد) ، (وكما قلنا) ونحوها . فضلاً عن ذلك اتسع النص المنطوق الديالوجى للنقاط الثلاث ... التى ترمز إلى

قطع المتكلم كلامه ثم مواصلته أو إعادة تركيبه ، ويبدو القطع والمواصلة في عبارة نحو (فى ذلك الوقت ... إحسان عبد القدوس) ، كما يبدو القطع وإعادة التركيب فى عبارة (استقلال ... استقلال مصر) !.

(و) تتخذ الوقفات المديدة فى النص المعد المقروء للفصل بين وحدات المعلومات الكبرى والفقرات الكلامية ، بينما تقع الوقفات المديدة أحيانا داخل الوحدة الواحدة فى الخطاب المنطوق الحوارى ، على نحو مانجد هنا مثلا فى وحدة (لم يكن لها دخل ++ مباشر) .

(١٣) وإذا تأملنا مابين الشفرتين من تباين معجمى ، لاحظناأن الشفرة المكتوبة – تبعاً لمواصفات إنتاجها الخاص – أشد إعدادا وأقوى تنظيما . ومن هنا فإن المحتويات المعجمية **Lexikoninventar** للغة تستثمر فى الشفرة المكتوبة استثمارا أفضل مما فى الشفرة المنطوقة . إن التنوع فى الوحدات المعجمية التى يتضمنها نص مكتوب أقوى وأشد منه فى نص منطوق يماثله فى الحجم (أى فى عدد وحداته) . ومن أجل ذلك نرى أن العلاقة بين الثروة اللفظية فى الشفرة العامة ومايستخدم منها **type - tokens-relation** أقوى مع الشفرة المكتوبة منها مع الشفرة المنطوقة . وينتج عن هذا الأمر كون النسبة المئوية لتكرار " المستخدم " في نص منطوق أعلى مما فى نظيره المكتوب ، مادامت النصوص الشفهية تحتوى على " مستخدم " أقل مما تحتوى عليه النصوص المكتوبة . وقد وصل ج . هردان **G.Herdan** إلى أن " المستخدم " فى النصوص المكتوبة يغطى نحوا من ٦٧٪ من الثروة الفعلية الكلية للغة الإنجليزية ، بينما يغطى " المستخدم " فى النصوص الشفهية نحوا من ٣٢٪ من تلك الثروة [(١٤٨)] .

---

(١٤٨) Soell, op. , cit., SS. 186-187

(١٤) وفى التمييز بين الشفرتين غدا شائعا استخدام المقابلة : معلّم / غير معلّم . فالمعيار المكتوب من اللغة يجعله فاشيك Vachek معيارا معلما markierte Norm بينما يجعل المعيار المنطوق غير معلم unmarkierte ، دون أن يعنى ذلك انتقاصا من وزن أحد هذين المعيارين : وظيفيا أو بنائيا (١٤٩) .

وتعد الوحدة اللغوية معلمة إذا تميزت بخاصية صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية تجعلها تتعارض مع وحدات أخرى لها نفس الطبيعة فى اللغة ذاتها . وتكون الوحدة غير معلمة إذا تجردت من هذه الخاصية (١٥٠) . ويعكس التعارض الثنائى بين الوحدة المعلمة والوحدة غير المعلمة مابين الشفرتين من فروق لغوية – أسلوبية . وهنا يلاحظ جان دوبوا J. Dubois أن اللغة المكتوبة ليست تشفيرا مباشرا للغة منطوقة ، ذلك أن اللغة المكتوبة تختلف عن نظيرتها المنطوقة في مخزونها اللغوى الفعلى اختلافا أساسيا . وتعرف اللغة المكتوبة بميلها إلى إيثار استخدام المفردات المعلمة أسلوبياً des termes stylistiquement marqués على المفردات غير المعلمة non marqués (١٥١) .

والحق أن معيار الوحدات المعلمة / وغير المعلمة معيار نسبى ، وليس معيارا مطلقا فى التمييز بين الشفرتين تمييزا قاطعا ، ذلك أن التصنيف الأولى للغة إلى مكتوبة ومنطوقة داخل نظام لغوى واحد ، لايجعلنا نتصور – على المستويين : الدلالى والمعجمى – أن هناك

---

(١٤٩) Vachek, J., Zu allgemeinen Fragen der Rechtschreibung und der geschriebenen Norm der Sprache, in : Stilistik und Soziolinguistik, Berlin (1971) SS. 100 - 122, S.114

(١٥٠) سيزا قاسم (دكتورة) / نصر حامد أبوزيد (دكتور) : مدخل إلى السيموطيقا ، دار إلياس العصرية (١٩٨٦) ص ٣٥٥

(١٥١) Dubois, J., Grammaire Structurale du Francais, Le Verbe, Paris (1967) p.101

وحدات لغوية تختص اختصاصا تاما بإحداهما دون الأخرى . فاللفظتان (حينما) و(عندما) نلاحظ معهما أن الأولى يعلو معدل تكرارها نسبيا فى النصوص المكتوبة . أما الثانية فتبقى أشيع اللفظتين على الإطلاق . ويمكننا أن نقيس على ذلك اللفظتين (أنى) و (أين) : فالأولى يعلو معدل تكرارها فى اللغة المكتوبة الأدبية ، وإن كانت الثانية أشيع اللفظتين استخداما فى كلتا الشفرتين بما لكل منهما من مستويات على الإطلاق . ولا يمنع مع الشفرة المنطوقة أن تستخدم الكلمة الأولى (أنىّ) كذلك تأثرا باللغة المكتوبة الأدبية . ويؤكد ذلك كله القول بصعوبة اختصاص إحدى الشفرتين بوحدات بعينها دون الأخرى اختصاصا مطلقا . ولعل هذه الفكرة كانت وراء قول سول بأنه " يمكننا أن نرجع الشفرة المنطوقة **code parlé** بكاملها إلى اختصاص أسلوبية اللغة المنطوقة ، أى إلى نوع خاص من الاستخدام الذى يميز اللغة المنطوقة عن الأدوات اللغوية العامة والنظام اللغوى العام " (١٥٢) .

---

(١٥٢) Soell, op., cit ., S.27

المبحث الثانى عشر

اللغه المكتوبة واللغة المنطوقة وموقف التراث اللغوى العربى

اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة و موقف التراث اللغوى العربى

أول ما نلاحظه أن هذه التفرقة الاصطلاحية غير واردة على الإطلاق فى تراثنا اللغوى . وليس فى إشارات النحاة واللغويين إلى الظواهر الكلامية ما يدل عليها صراحة . ونحن نعلم – فى الوقت نفسه – أن هناك طائفة من المسائل و الظواهر اللغوية التى يعنى بها علم اللغة الحديث قد حومت حولها الدراسات اللغوية العربية القديمة و لكنها لم تضع اصطلاحاتها الخاصة ، ذلك أن اللغويين القدماء – كما يقول دكتور تمام حسان – كانوا (كما لا نزال نلحظ فى مصطلحات سيبويه و عناوين أبوابه) يصفون الأفكار ولا يسمونها بأسماء ثابته لها تعرف بها (١٥٣) .

وإذا كان توصيف القدماء للعربية قد استند استنادا حقيقياً إلى اللغة المكتوبة ، فإن فى بعض إشارات النحاة و اللغويين ما يرتبط بحالة التكلم وهيئته وسياقه من ظواهر و تغيرات لغوية . ونود – قبل الإشارة إلى تلك الظاهرات و التغيرات المرتبطة بحالة النطق أو التكلم – أن نشير إلى الاعتبارت التالية :–

(أولاً) يصعب الفصل فى كثير جدا من الحالات بين ما يمكن جعله من ظواهر اللغة المنطوقة وما هواستعمال فنى خاص أو خاصية لهجية ، أو تنويع أسلوبى ، أو نوع من التوسع ، أو تصرف شاذ لا يقاس عليه .

---

(١٥٣) تمام حسان (دكتور) : المصطلح البلاغى القد يم فى ضوء البلاغة الحديثة ، مجلة فصول ، المجلد السابع ، العددان : الثالث والرابع (ابريل – سبتمبر ١٩٨٧) ص ٢١ – ٣٥ ص ٢١ .

(**ثانياً**) لم يتخل النحاة تماماً عما جاء فى كلام العرب من ظواهر نحوية محلية ، على نحو ما نعرف فى مناقشاتهم منذ سيبويه لـ (ما) التميمية و (ما) الحجازية ، أو إشارات سيبويه إلى اختلاف الحجازيين عن التميميين فى الاسم المعروف الغالب إذا استفهمنا عنه بـ (من) ؛ فالحجازيون يجعلون الاسم فى الجملة الاستفهامية على حالته الإعرابية فى الجملة الخبرية : رفعاً ونصباً وجراً ، نحو :

هذا عبد الله	من عبد الله ؟
رأيت زيدا	من زيدا ؟
مررت بزيد	من زيد ؟

و أما بنو تميم فيرفعون على كل حال [١٥٤] . و بالرغم من ذلك تبقى دراساتهم الوصفية المستفيضة للنحو العربى قائمة على أساس اللغة الموحدة أو المشتركة .

(**ثالثاً**) تجاوزت بعض أحكام القدماء على ظاهرات لغوية أقرب إلى اللغة المنطوقة التأصيل و التحليل إلى أحكام تقويمية بالحسن أو الرداءة أو الضعف أو الخروج على القياس أو اللحن أو الشذوذ ... الخ .

(**رابعاً**) تقضى اعتبارات اللغة المنطوقة بما هى ممارسة تلقائية للغة المكتوبة بشئ من إقامة الاعتبار لما خرج عن قوانين القياس أو اللغة المكتوبة . وقد بدا ذلك فى كلامهم عن (المسموع) أو (الاستعمال) مقارنين بما يؤدى إليه (القياس) . ولعل من أنصع إشارات القدماء وأصرحها فى هذا الشأن ، ما نجده عند ابن جنى فى بابه الذى عقده عن (تعارض السماع والقياس) . و من أهم ما انتهى إليه فى هذا الباب :-

(١٥٤) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (١٩٧٧) ٢ / ٤١٣ .

١- إذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ماجاء عليه ، ولم تقسه فى غيره [١٥٥] .

٢- إذا شذ الشئ فى الاستعمال و قوى فى القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى ، و إن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله [١٥٦] .

٣- إذا أداك القياس إلى شئ ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشئ آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، إلى ما هم عليه . فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت فيه مخيَّر : تستعمل أيهما شئت [١٥٧] .

وقد طور ابن جنى أفكاره السابقة حتى انتهى بها إلى شئ مما ترسخ فى علم اللغة الحديث من مبادئ وأوليات . و نحن نرى ذلك فى بابه المعروف (فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور) . و أكد ابن جنى فى هذا الباب اعتبار الراوى أو الإنسان الفرد : من حيث فصاحته و إحسان الظن بما انفرد به ، لاسيما و قد قبل القياس ما أورده . قال ابن جنى :

" إذا اتفق شئ من ذلك نظر فى حال ذلك العربى وفيما جاء به . فإن كان الإنسان فصيحا فى جميع ما عدا ذلك القدر الذى انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياس ، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان ، فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به ، و لا يحمل على فساده " [١٥٨] .

---

(١٥٥) ابن جنى (أبو الفتح عثمان) : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر ، ١ / ١١٧

(١٥٦) المرجع السابق ١ / ١٢٤

(١٥٧) المرجع نفسه ١ / ١٢٥

(١٥٨) المرجع نفسه ١ / ٣٨٥

و يبقى من باب ابن جنى هذا نص آخر يظهر حدود اعتباره للراوى أو ذلك الإنسان العربى الفصيح الذى يحدثنا عنه بما يقطع على التأويل و الجدل السبيل . يقول ابن جنى :

" فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ ، ما وجد طريق إلى تقبل ما يورده ، إذا كان القياس يعاضده ، فإن لم يكن القياس مسوغا له ، كرفع المفعول ، و جر الفاعل ، و ورفع المضاف إليه ، فينبغى أن يرد . وذلك لأنه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعا ، فلم يبق له عصمة تضيفه ، ولا مسكة تجمع شعاعه " (١٥٩) .

ونود أن نعود الآن مرة أخرى إلى أهم ماورد فى مصادر تراثنا اللغوى من إشارات إلى ظواهر كلامية خاصة ، تلمح إلى ما يعترض كلام المتكلم من تغيرات حال النطق . ولا تدل تلك الإشارات عل أى حال على وعى واضح بنظرية اللغة المنطوقة وما بينها وبين الصورة المكتوبة من فروق ، وإنما هى - بالأحرى - كما يفهم من منطلقاتها النظرية - إشارات ونماذج تمثيلية ترتبط بحال الكلام أو حال المتكلم عند النطق . بعبارة أخرى : إن المادة اللغوية التى وقعت فيها تلك الأمثلة والإشارات لا تمثل اللغة المنطوقة بالمصطلح الحديث ، وإن كانت تلك الأمثلة - على نحو ما سنرى - تتفق مع بعض الخصائص الأساسية للتعبير الشفهى .

وفيما يلى أهم الإشارات التى وقفنا عليها فى بعض المصادر اللغوية والنحوية الكبرى :-

١- ما يتعلق بحال المتكلم عند التذكر ، وينتج عن ذلك مطل الألف والواو والياء .

---

(١٥٩) ابن جنى : الخصائص ، مرجع سابق ١ / ٣٨٧

وذلك عند تذكر المتكلم للمفعول به أو الظرف :

أخواك ضربا (أى ضربا زيدا ونحوه) .

ضربوا (أى ضربوا زيدا ، أو ضربوا يوم الجمعة ، أو ضربوا قياما ، فتتذكر الحال) .

اضربى (أى اضربى زيدا ونحوه) [١٦٠] .

والمطل مع هذه الحركات الثلاث فى الوقف وعند التذكر يعنى أن المتكلم يستحضر فى نطقه ما يدل على أن كلامه لم يتم بعد ، و على أنه متذكر شيئا ، فإذا وقف المتكلم على كلامه بمطل الحركة علم بذلك أنه بعبارة ابن جنى - " متطاول إلى كلام تال للأول ، منوط به ، معقود ما قبله على تضمنه و خلطه بجملته " [١٦١] .

مطل المتكلم هذه الحركات إذن نوع من الإطالة المعقودة بحالة (التكلم) ، أو لنقل بالمصطلح الحديث : بحالة (المشافهة) ، لتكون دليل المرسل إليه إلى فهم ما قد يريده المرسل بكلامه ، و إن لم يتمه .

ويلتقط ابن جنى معنى جامعا بين (وقفة التذكر) و (الندبة) ، وهو قوة الحاجة إلى إطالة الصوت فى الموضعين . " فكلما كانت هذه حال هذه الأحرف ، وكنت عند التذكر كالناطق بالحرف المستذكر ، صار كأنه هو ملفوظ به . فتمت هذه الأحرف وإن وقعن أطرافا ، كما يتمممن إذا وقعن حشوا لا أواخر " [١٦٢] .

---

(١٦٠) ابن جنى : الخصائص ، ٣ / ١٢٨

(١٦١) المرجع نفسه ٣ / ١٢٨

(١٦٢) ابن جنى : المرجع نفسه ٣ / ١٢٩

٢ – ما يتعلق برتبة الكلام فى نفس المتكلم ، وذلك مما يدانى خاصية (ضعف التعقيد النحوى) فى اللغة المنطوقة على نحو ما رأينا من قبل . ونحسب أن من مظاهر ذلك ماأسماه القدماء بـ (الحمل على المعنى) ؛ فمما عرف عن العرب – كما يستخلص ابن جنى – أنها إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك : شكرت من أحسنوا إلىّ على فعله . ولو قلت : شكرت من أحسن إلىّ على فعلهم جاز " [(١٦٣)] .

٣ – يشيع فى اللغة المنطوقة على نحو ما رأينا العطف بالواو ، و لكن هذه الواو قد تسقط من الكلام أحيانا . و يرتبط إسقاطها بضرب من الاختصار الذى يصاحب عملية (المشافهة) أحيانا اعتمادا على دور المستمع . و مثال ذلك ما حكاه أبو عثمان عن أبى زيد من حذف حرف العطف فى نحو قولهم : أكلت لحما ، سمكا ، تمرا [(١٦٤)] .

٤ – ما يتعلق بنوع من تصرف المتكلم فى كلامه . ويمكننا أن نجعل من ذلك (بدل الاشتمال) فى نحو : أكلت الرغيف ثلثه . وقد سمى بهذا الاسم لاشتمال المتبوع على التابع ، من حيث كونه دالا عليه إجمالا و متقاضيا له بوجه ما بحيث تبقى النفس عند ذكر الأول متشوقة إلى ذكر ثان ، منتظرة له ، فيجئ الثانى ملخصا لما أجمل فى الأول مبينا له [(١٦٥)] .

و نحن نحترز هنا بوقوع بدل الاشتمال فى اللغة المكتوبة كذلك ، و إن كانت صورته التركيبية وغايته التبليغية مرتبطتان أكثر بحال اللغة المنطوقة .

---

(١٦٣) ابن جنى : الخصائص ٢ / ٤٢٠
(١٦٤) المرجع نفسه ٢ / ٢٨٠
(١٦٥) ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر) : الكافية فى النحو ، شرحه رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) ١/ ٣٣٨ – ٣٣٩ .

٥ - الاستفهام التنغيمى ، وقد عده القدماء نوعا من حذف همزة الاستفهام . وهى نظرة شكلية لا غير . ويمكننا تطوير النظرة إلى هذه الحالة بأنها نوع من نقل الخطاب من مجرد التبليغ إلى حال (المشافهة) ، سواء أكان ذلك (حكاية قول) أم غير حكاية . فمن حكاية القول قول الشاعر :

فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتونى ، وقالوا : من ربيعة أو مضر ؟

يريد : أمن ربيعة . ومن ذلك أيضا قول عمر بن أبى ربيعة :

ثم قالوا : تحبّها ، قلت : بهرا عدد القطر والحصى والتراب

وقد وقع ذلك أيضا فى غير الحكاية كقول الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى ، وذو الشيب يلعب

أراد : أو ذو الشيب يلعب ؟ (١٦٦) .

و الحق أن أصدق توصيف نراه لتلك الحالات ، وقد وقعت فى لغة مكتوبة تفتقد التلقائية والمشافهة المباشرة ، أنها نوع من تمثل خاصية غالبة فى اللغة المنطوقة فى لغة مكتوبة أدبية .

٦ - الحذف الذى يبدو مختصا بحالة المشافهة ومقيدا بها . و من أهم أشكاله :-

(أ) الحذف الذى يكون فى جواب استفهام . وقد أفرد له سيبويه بابا أسماه (باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة الكلام و الاختصار) وذلك قولك : متى سير عليه ؟ فيقول مَقْدِمَ الحاج ، و خفوقَ النجم ، وخلافة فلان ، وصلاة العصر . فإنما هو : زمن مقدم

(١٦٦) ابن جنى : الخصائص ، ٢ / ٢٨١

الحاج ، وحين خفوق النجم ، ولكنه على سعة الكلام والاختصار [١٦٧] .

و تنظر الدراسات الأسلوبية الحديثة إلى هذا النوع من الحذف باعتباره حذفا عرضيا okkasionelle Ellipse يبين السلوك المتنوع وغير الاضطرارى للمشاركين فى الكلام [١٦٨] .

(ب) حذف الصفة ودلالة الموقف التبليغى على المحذوف ، وذلك كقولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل . وكأن هذا - كما يقول ابن جنى - إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله :طويل أو نحو ذلك [١٦٩] .

وغنى عن البيان أن التطويح والتطريح ونحوهما أدوات إشارية غير لغوية ، قد تغنى أحيانا - داخل الموقف التبليغى المباشر الذى يقتضى فهم السامع - عن استكمال مادة التعبير لغويا . هى إذن أدوات لملء الفراغات اللغوية - كما ذكرنا من قبل - بإشارات غير لغوية .

أما التفخيم والتعظيم ، فهما درجتان من درجات (طبقة الصوت) التى تتحكم كثيرا فى توجيه الكلام إلى دلالة عامة مقصودة ، باعتبارها أداة لغوية إشارية . و قد فطن ابن جنى إلى ذلك و عبر عنه بطريقته ، قال :

" وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته . وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء

(١٦٧) سيبويه : الكتاب ، ١/ ٢٢٢

(١٦٨) Fleischer, W., / Michel, G., Stilistik der deutschen Gegenwartssprache, 2., Auflage, Leipzig (1977) S.178

(١٦٩) ابن جنى : الخصائص ، ٢/ ٣٧٠ - ٣٧١

عليه ، فتقول : كان والله رجلا ! فتزيد فى قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أى : رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانا ! و تمكن الصوت بـ (إنسان) وتفخمه ، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك (١٧٠) .

أضف إلى كل ما سبق أن ابن جنى قد فطن صراحة إلى أثر تعبيرات الوجه المباشر فى العملية التبليغية ، حيث تقوم تلك التعبيرات والإيماءات مقام اللفظ . يقول ابن جنى :

"....... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنسانا ! و تزوى وجهك و تقطبه ، فيغنى ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لَحِزاً أو مُبَخَّلا أو نحو ذلك " (١٧١) .

٧ - الحالات التى قد ترتبط بما يعرض للمتكلم أحيانا من غلط أو نسيان ، ويمكن أن تكون ممثلة لحالة من التخاطب التلقائى الطبيعى ، يعدله المتكلم عن طريق التصحيح الفورى . ومن ذلك " أن تقول : رأيت زيدا عمرا ، لأنه إنما أراد عمرا ، فنسى ، فتدارك " (١٧٢) .

و يستنتج من كل ما سبق أ ن القدماء قد مسوا بعض الظواهر اللغوية التى ترتبط بحالة التكلم أو حالة المتكلم ذاته أو بعض ما يدور فى فلك اللغة المنطوقة - فى الدراسات الحديثة - من خصائص وسمات عامة ، دون أن يخصوا اللغة الفصيحة فى شكلها

(١٧٠) ابن جنى : الخصائص ٢ / ٣٧١

(١٧١) المرجع السابق ٢ / ٣٧١

(١٧٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ٣٤١

المنطوق - بالمفهوم الذى أشرنا إليه فى موضعه - بالبحث والمقارنة . إن تعرف النحاة واللغويين على النمط المنطوق من اللغة لم يتجاوز إشارات ضئيلة إلى ما يصاحب العملية الكلامية أو عملية المشافهة أحيانا ، من تغيرات فونولوجية أو تركيبية . و ظل بحثهم فى (المقام) بعيدا عن نطاق تمثله تمثلا سوسيولوجيا واضحا يكشف عن وعى بيِّن بالفروق بين الشفرتين ، فكان أقرب إلى ما يعرف الآن بـ (تحليل الخطاب Discourse Analysis) منه إلى نظرية اللغة المنطوقة . لقد استخرج النحاة قواعدهم من مادة اللغة المكتوبة ، ولم يعتبروا معطيات اللغات المحكية إلا قليلا . من أجل ذلك ، لا نكاد نعرف شيئا عن نحو العربية المنطوقة ، فى الوقت الذى ندرك فيه أن اللغة المنطوقة لا تنحو نحو اللغة المكتوبة فى حالات كثيرة . وما زالت هناك مناطق واسعة شاغرة حتى الآن فى علم النحو العربى ، منها مثلا نحو الديالوج التلقائى الطبيعى . أضف إلى ما سبق أن النحو العربى لم يقم على لغة مكتوبة فحسب ، بل على لغة مكتوبة أدبية ، أو ذات طبيعة أدبية فنية ؛ كلغة القرآن والحديث والشعر والصور الرسمية الأخرى من اللغة المكتوبة كالخطابة والأقوال المأثورة والحكم ، وهى تمثل أشد الأساليب شكلية ورسمية . وجد هذا الموقف شبيها بما عرفته القواعد التقليدية فى الغرب حتى زمن قريب ، فقد قادت النظرة الجزئية إلى اللغة إلى العجز عن تغطية المجال الكلى لصور اللغة المكتوبة اكتفاء بالبحث فى أكثر الأساليب وأعلاها رسمية . أما الأساليب الأخرى التى يشتم منها عدم الرسمية ، فكانت العناية بها ضئيلة . و إن ذكرت صنفت على أنها " عامية " أو "سوقية " langs وجعلت مثالا على " النحو الردئ Bad Grammar " [(١٧٣)] .

إننا نتعلم حتى الآن نحو اللغة المكتوبة . وكثيرا ما نجهل سمات اللغة المنطوقة

(١٧٣) Crystal, David, Linguistics, Pelican Books, Great Britain (1971) p.60

وخصائصها المميزة ، لأنها لم تسجل فى مادة اللغة المكتوبة ولم يحللها النحاة القدماء . وينبغى على علم اللغة العربى الحديث أن يضطلع بدور رئيسى فى التعرف على ما بين النمطين من فروق أخرى ووصفها . وعلينا أن نأخذ أنفسنا من الناحيتين العلمية والتعليمية معا بمحاولة الفصل بين هذين الشكلين ، لاسيما على المستوى الفونولوجى و المستوى التركيبى ، مهما بدا الفصل بينهما فصلا حادا أمرا صعبا عزيز المنال .



قائمة المصطلحات الأجنبية

(A)

Abtoenung	توكيد
(Abtoenungspartikel)	حرف توكيد
Acceptability	معيار (القابلية)
Accomplishment	إنجاز/ تحقيق
(practical accomplishment)	إنجاز فعلى/ عملى
Altagsrede	لغة الحياة اليومية
Alterata	تحويرات
Anrede	محادثة/ مخاطبة
Appell	نداء/ استدعاء
(Appellsfunktion)	وظيفة ندائية/ استحضارية
Argumentation	استدلال
Assoziation	تشارك
Ausdruck	تعبير/ اصطلاح
(Ausdrucksfunktion)	وظيفة تعبيرية
Ausgangszustand	حالة البداية(فى الحدث التبليغى)

(B)

Buehnensprache	التدريب على النطق الفصيح للغة

(C)

Chevilles	محركات الكلام
Classical	فصيح/ قديم
(Classical Arabic)	العربية الفصيحة/ القديمة
Code	شفرة
(Code graphique)	شفرة خطية
(Code parlé)	الشفرة المنطوقة
(Code phonique)	شفرة صوتية
Coherence	(معيار) التآلف
Cohesion	(معيار) التماسك
Comment	مفسرة
Common	مشترك
(Common Language)	لغة مشتركة
Communication	تبليغ/ توصيل
Communicative	تبليغى/ توصيلى
Complementisers	مكملات
Connection	ربط/ وصل
Connectors	روابط

(Logical Connectors)	روابط منطقية
Context	السياق
(Context of Situation)	سياق الموقف
(Original Context)	السياق الأصلى
Conversation	محادثة
(Conversational Form)	صيغة حوارية

(D)

Descriptive	وصفى
Diachronisch (= Fr. Diachronique)	تاريخى
Dialectology (= dt. Dialektologie)	علم اللهجات
Dialekt	لهجة
(geographische Dialekt)	لهجة جغرافية
(soziale Dialekt)	لهجة اجتماعية
Dialogue	حوار/ ديالوج
Dichte	الكثافة
Discourse	الخطاب
(Discourse Analysis)	تحليل الخطاب
Duration	الاستغراق الزمنى

(E)

Einstellung	وجهة نظر
Ellipse	الحذف
(okkasionelle Ellipse)	الحذف العرضى
Elliptisch	افتراضى
Emotive	انفعالى (وظيفة انفعالية)
Encounter	مواجهة/ مقابلة
Ethnomethodology (= dt. Ethnomethodologie)	الإثنوميثودولوجيا
Expressiv	تعبيرى (وظيفة تعبيرية)

(F)

Fillers	أدوات الحشو
(prefabricated fillers)	أدوات الحشو الجاهزة
Flickwort	مفردة حشو
Formulierung	صياغة/ تشكيل
(sprachliche Formulierung)	صياغة/ تشكيل لغوى
Frequenz	(معيار) التردد

(G)

Geschrieben	مكتوب

(geschriebene Sprache)	اللغة المكتوبة
Gestik	تلويحات اليدين
Gesture	إيماءة
(bodily Gesture)	إيماءة بدنية
Gliederung	التجزئة
(Gliederungssignale)	علامات التجزئة

(H)

Historical	تاريخى
(historical Linguistics)	علم اللغة التاريخى
Hochsprache	اللغة الفصيحة

(I)

Incomplete	ناقص
(incomplete Sentence)	جملة ناقصة
Information	معلومة
(given Informatin)	معلومة معطاه من قبل
(new Information)	معلومة جديدة
Informativity	(معيار) الإخبارية/ الإعلامية
Intentionality	(معيار) المقصدية

Interaction (= dt. Interaktion)	التفاعل
(everyday Social Interaction)	التفاعل الاجتماعى اليومى
(Social Interaction)	التفاعل اليومى
(Symbolic Interaction)	التفاعلية الرمزية
Interactive	تفاعلى
Interaktionsstil	أسلوب التفاعل
Intertextuality	التناص/ تفاعل النصوص
Intonation	التنغيم
(Intonationsfrage)	الاستفهام التنغيمى

(K)

Kode	الشفرة
Kodierung	التشفير
Koine	وسطى
(Arabic Koine)	العربية الوسطى
Kommentar	التعليق
Kommunikation	التبليغ/ التوصيل
(Kommunikationsi tuation)	موقف تبليغى
Kompetenz	الكفاءة

Konative	تبليغى (وظيفة تبليغية)
Kontakt	احتكاك/ اتصال
(Kontaktafnahme)	قبول الاتصال
(Kontaktsmedium)	وسط الاحتكاك/ الاتصال
Kontext	السياق
(Kondtextmedium)	الوسط السياقى
Kundgabe	الإخبار (وظيفة إخبارية)

(L)

Language	لغة
(sacred language)	لغة مقدسة
(silent Language)	الكلام الصامت
Lexikoninventar	المحتويات المعجمية
Liaison	الوصل
Linguist	لغوى
linguistics	علم اللغة
(historical Linguistics)	علم اللغة التاريخى
Linguistique	علم اللغة
(Linguistique diachronique)	علم اللغة التاريخى

(M)

Metalinguistic	ما وراء اللغة
(metalinguistic Markers)	علامات ما وراء اللغة
Metasprachlich	ما وراء اللغة
(metasprahliche Funktion)	وظيفة ما وراء اللغة
Mimik	تعبيرات الوجه
Mundart	لهجة

(N)

Nachricht	خبر
Norm	المعيار
(markierte Norm)	معيار معلم
(unmarkierte Norm)	معيار غير معلم

(O)

Oral	شفهى
(oral speech)	كلام شفهى
Oralitaet	المشافهة
(urspruengliche Oralitaet)	المشافهة الحقيقية

(P)

Paradigmatisch	استبدالى (علاقة الاستبدال)
Partikel	حرف/ أداة
(Abtoenungspartikel)	حروف التوكيد
Pause	الوقف/ وقفة
Pejorativa	تصغير التحقير
Philologist	فقيه لغوى
Phonisierung	التحويل إلى شفرة صوتية/ التلفظ/ التصويت
Poetisch	شعرى
(poetische Funktion)	وظيفة شعرية
Poetry	شعر
(oral poetry)	الشعر الشفهى
Prescriptive	افتراضى
Prestige	اعتبار/ مكانة
(Prestige-Dialket)	لهجة أساسية

(R)

Reasoning	العقلانية
(sociological reasoning)	العقلانية الاجتماعية

Reciting	القص/ التسميع
Rede	الكلام/ الخطاب
(Alltagsrede)	الخطاب اليومى
(Redekonstellation)	حالة خطابية/ حدث خطابى
(Rede - Kontext)	سياق الخطاب
(freie Rede)	الخطاب الحر
(spontane Rede)	الخطاب التلقائى
Redundanz	الحشو/ فضلات كلامية
Response	استجابة

(S)

Satz	جملة
Schriftsprache	لغة مكتوبة
Segmentierung	التجزئة
(Segmentierungssignale)	علامات التجزئة
Semiology	علم العلامات
Signal	علامة
Situation	الموقف
(face -to-face - Situation)	موقف المواجهة

(soziale Situation)	الموقف الاجتماعى
Situationality	الموقفية
Slang	كلام دارج/ لهجة سوقية
Sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعى
Speaking	التكلم
Speech	الكلام
(premeditated speech)	الكلام المتروى
(unpremeditated speech)	الكلام غير المتروى
Spoken	منطوق
(spoken discourse)	الخطاب المنطوق
(spoken Language)	اللغة المنطوقة
Sprache	لغة
(fiktive Sprache)	لغة متخيلة
(rezitierte Sprache)	لغة مقروءة
(simulierte Sprache)	لغة مفتعلة
Sprachniveau	المستوى اللغوى
Sprachregister	المستوى اللغوى
Sprachschichtenforschung	البحث فى الطبقات اللغوية

Sprechakt	حدث كلامى/ لغوى
Sprechaktsequenz	توالى الأحداث اللغوية
Sprecherwechsel	تغير المتكلمين
Sprechsituation	الموقف اللغوى/ الكلامى
Standard	معيارى
(standard Arabic)	العربية المعيارية
(standard Language)	اللغة المعيارية
Strukturalismus (= eg. Structuralism)	البنيوية
Suggestiv	إيحائى
Symbol	رمز
Symptom	مؤشر
Synchrjonique(=dt. Synchronisch)	وصفى

(T)

Text	النص
Textlinguistik(= eg. Textlinguistics)	علم اللغة النصى
Textsorte	أنماط النص
Topic	المحور

(U)

Umfeld	المحيط (محيط الكلام)
Umgangsarabisch	العربية الدارجة
Umgangssprache	اللغة الدارجة
Unit	وحدة
(information unit)	وحدة المعلومة
Variant	تنويع
(sprachliche Variant)	تنويع لغوى
Vernacular	لهجة/ كلام دارج
Voice	صوت
(voice quality)	نوعية الصوت
Vorspannsatz	جملة المطلع

(Z)

Zielzustand	حالة الهدف (من الحدث التبليغى)
Zusammenhang	السياق/ المساق
(Handlungszusammenhang)	السياق التعاملى
Zweisprachigkeit	الازدواجية اللغوية



المراجع العربية والأجنبية

(أولاً) المراجع العربية والمترجمة :-

١ - **أحمد زايد (دكتور)** : علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف بمصر (١٩٨١م) .

٢ - **بيار غيرو** : السيمياء ، ترجمة أنطوان أبوزيد ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الأولى(١٩٨٤م) .

٣ - **تمام حسان (دكتور)** : المصطلح البلاغى القديم فى ضوء البلاغة الحديثة ، مجلة فصول ، المجلد السابع ، العددان : الثالث والرابع (أبريل - سبتمبر١٩٨٧م) .

٤ - **توفيق الحكيم** : الأيدى الناعمة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥ - **توماس لوكمان** : علم اجتماع اللغة ، تعريب دكتور أبو بكر أحمد باقادر ، كتاب النادى الأدبى الثقافى بجدة ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

٦ - **جان كوهين** : بناء لغة الشعر ، ترجمة دكتور أحمد درويش ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٧ - **ابن جنى (أبو الفتح عثمان)** : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ، بدون تاريخ .

٨ - **جون لاينز** : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمةدكتور عباس صادق عبد الوهاب ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى (١٩٨٧م) .

٩ - **ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر)** : الكافية فى النحو ، شرحه رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٥ - ١٩٨٥م) .

١٠ – **رونالد إيلوار** : مدخل إلى اللسانيات ، ترجمة دكتور بدر الدين القاسم ، منشورات وزارة التعليم العالى ، الجمهورية العربية السورية (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

١١ – **زينب شاهين (دكتورة)** : الإثنوميثودولوجيا : رؤية جديدة لدراسة المجتمع ، مركز التنمية البشرية والمعلومات ، القاهرة (١٩٨٧م) .

١٢ – **سعد مصلوح (دكتور)** : الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٤٠٤ - ١٩٨٤م) .

١٣ – **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)** : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (١٩٧٧م) .

١٤ – **سيزا قاسم/ نصر حامد أبو زيد** : مدخل إلى السيميوطيقا ، دار إلياس العصرية ، القاهرة (١٩٨٦م) .

١٥ – **فرانسواز أرمينكو** : المقاربة التداولية ، ترجمة دكتور سعيد علوش ، مركز الإنماء القومى ، الرباط(١٩٨٦م) .

١٦ – **فندريس** : اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٧ – **قبارى محمد إسماعيل (دكتور)** : أصول علم الاجتماع ، دار الكتب الجامعية ، الإسكندرية (١٩٧٨م) .

١٨ – **مارك ريشل** : اكتساب اللغة ، ترجمة دكتور كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

١٩ - **ماريو باى** : أسس علم اللغة ، ترجمة دكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

٢٠ - **مازن الوعر(دكتور)** : دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٩٨٩م) .

٢١ - **محمد حافظ دياب (دكتور)** : الإثنوميثودلوجيا : ملاحظات حول التحليل الاجتماعى للغة ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث (١٩٨٤م) .

٢٢ - **مريم أحمد مصطفى (دكتورة)** : قضايا التنظير للتنمية فى العالم الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (١٩٨٥م) .

(ثانياً) المراجع الأجنبية :

1 - Abercrombie, D., Conversation and Spoken Prose, in : D. Abercrombie : Studies in Phonetics and Linguistics, London (1965) .

2 - Althaus, Peter/Henee, H. / Wiegand, H., Ernst (hrsg.), Lexikon der Germanistischen Linguistik, 2., Auflage, Max Niemeyer Verlag, Tuebingen (1980) .

3 - Barnickel, Klaus-dieter, Sprachliche Varianten des Englischen, Teilband 45 / 1, Nationale, Regionale und soziale Verianten, Hueber Hochschulreihe 45, Erlangen (1978) .

4 - Birkeland, Harris, Altarabische Pausalformen, Oslo (1940) .

------------Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect, Olso (1952) .

5 - Blankenship, Jeane, A Linguistic Analysis of Oral and Written Style, in : The Quarterly Journal of Modern Speech 48 (1962) .

6 - Bloomfield, Lanuage, Uni. of Chicago, USA., (1984). 7 - Brown, Gillian / Yule, George, Discourse Analysis, Cambridge Uni. Press (1983) .

8 - Caseriu, Eugenio, Textlinguistik, Eine Einfuehrung, Gunter Narr Verlage, 2., durchges. Auflage Tuebingen (1981) .

9 - Coulthard, Malcolm, An Introduction to Discourse Analysis, Longman Group LTD. England (1977) .

10- Crystal, David, Linguistics, Pelican Books, Great Britain (1971) .

11- De Beaugrande, Robert-Alain / Dressler, Wolfgang Ulrich, Introduction to Textlinguistics, London and New York(1981) .

12- Diem, Werner, Hochsprache und Dialekt im Arabischen, Wiesbaden (1974) .

13- Dubois, J., Grammaire Structurale du Francais, Le Verbe, Paris (1967) .

14- Eagleson, R., D., Premeditated and unpremeditated Speech, in : English Studies 39 (1985) .

15- Eggers, Hans, Zur Syntax der deutschen Sprache der Gegenwart, in : Studium generale 15 (1962) .

----------------, Deutsche Gegenwartssprache im Wandel der Gesellschaft, in : Sprache, Gegenwart

und Geschichte (Sprache der Gegenwart, Bd. V hrsg. Von H. Moser) Duesseldorf (1969) .

16- Ferguson, Charles, A., The Arabic Koine, in : Language, Journal of the Linguistic Society of America, ed. by : B.Bloch, Volume 35, Waverly Press, Inc. Baltimore USA (1959) .

17- Firth, J., R, The Tongues of Men and Speech, Oxford Uni. Press, London (1978) .

18- Fischer, Wolfdietrich / Jastrow, Otto, Handbuch der arabischen Dialekte , Otto Harrassowitz, Wiesbaden (1980) .

19- Fleischer, W., / Michel, G., Stilistik der deutschen Gegenwartssprache, 2., Auflage, Leipzig (1977) .

20- Garfinkel, Harold, Studies in Ethnomethodology, Englewood Cliffs, New York (1967) .

21- Goffmann, E., Das Individuum im oeffentlichen Austausch, Mikrostudien zur oeffentlichen Ordnung, Frankfurt (1974) .

22- Goody, J., The Domestication of the Savage Mind, Cambridge Uni. Press (1977) .

23- Guelich, E., Makrosyntax der Gliederungssignale im gesprochen Franzoesischen , Muenchen (1970) .

24- Hermann, H., Psychologie der Sprache, Berlin (1967) .

25- Jacobson, Roman, Linguistik und Poetik, in :J., Ihwe (hersg.), Literaturwissenschaft und linguistik, Frankfurt / Main (1972) .

----------------, Linguistique et Communication, Laffont, Paris (1975) .

26- Kropfitsch, Lorenz, Semantische Tendenzen im Neuhocharabischen, in: ZAL (= Zeitschrift der arabischen Linguistik) Heft 5, Otto Harrassowitz, Wiesbaden (1978) .

27- Leiter, Kenneth, A Primer on Ethnomethodology, Oxford Uni. Press, N. y (1980) .

28- Loeschmann, Marianne, Vom Lesen zum Sprechen, VEB Verlag / Enzyklopaedie, Lepipzig, 1., Auflage (1985) .

29- Lyons, John, Introduction to Theoritical Linguistics, Cambridge Uni. Press (1968) .

30- Mehan, Hugh / Wood, Houston, The Reality of Ethnomethodology, New York (1975) .

31- Mitchel, T.F., Educated Spoken Arabic in Egypt and the Levant with special reference to Participle and Tense, in : J.of Linguistics 14, Great Britain (1978) .

32- Moser, H., Umgangssprache, Ueberlegungen zu ihren Formen und ihrer Stellung im Sprachganzen, in : Zeitschrift fuer Mundartforschung 27 (1960) .

33- Quirk, R., Colloquial English and Communication , in : Studies in Communication, London (1955) .

34- Schank, Gerd / Schoenthal, Giesela, Gesprochene Sprache, Eine Einfuehrung in Forchungsansaetze und Analysemethoden, 2., durchgesehene Auflage, Max Niemyer Verlag, Tuebingen (1983) .

35- Singer, Hans-Rudolf, Der neuarabische Sprachraum, in : Grundriss der arabischen Philologie, Bd. 1, hrsg. von : Wolfdietrich Fischer, Wiesbaden (1982) .

36- Soell, Ludwig, Gesprochenes und geschriebenes Franzoesisch, Erich Schmidt Verlag, 2., Auflage, Berlin (1980) .

37- Vachek, J., Zu allgemeinen Fragen der Rechtschreibung und der geschriebenen Norm der Sprache, in : Stilistik und Soziolinguistik, Berlin (1971) .

38- Van Dijk, T.,A., Text and Context, Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse, Longman, London and New York (1977) .

39- Wehr, Hans, Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart, ZDMG, Bd.97, Heft 1, Leipzig (1983) .

40- Zimmermann, Heinz, Zu einer Typologie des spontanen Gespraechs, Syntaktische Studien zur baseldeutschen Umgangssprache, Bern (1965) .

رقم الإيداع ٧٠٣٣ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى 9 — 0564 — 00 — 977 I. S. B. N

هذا الكتاب

بعد أن قطع علم اللغة الحديث شوطا بعيدا فى التنظير والتأصيل وبلورة المفاهيم ، طمحت نظريته – مستندة على أسس متينة – إلى التمييز الدقيق المسهب بين هيئتين كبريين للغة هما : اللغة المكتوبة و اللغة المنطوقة ، من حيث المبنى وطريقة الأداء والوظيفة .

وهذا الكتاب هو أول محاولة علمية جادة تعرفها مكتبة الدراسات اللغوية العربية فى هذا المجال . ويضم الكتاب إثنى عشر مبحثا ، عرض فيها لموضوعات ومسائل عدة ، مثل تاريخ البحث في هذا الموضوع ومراحله ، والعلاقة بين الكلام والكتابة ، والتشابك بين طائفة من الاصطلاحات التى أشاعها علم اللغة التاريخى وعلم اللغة الوصفى ؛ كاللغة المشتركة ، واللغة المعيارية ، ولغة الكتابة ... إلخ .

من جهة أخرى ، أفاض هذا الكتاب فى مناقشة إشكاليات بالغة الأهمية والإلحاح فى البحث المعاصر فى اللغتين : المكتوبة والمنطوقة ؛ كالتفاوت فى الارتباط بالموقف أو السياق ، والطبيعة الحوارية للغة المنطوقة ، وموقف كلتا اللغتين من عامل الإعداد ، واختلاف إحداهما عن الأخرى فى نمط الإنتاج ، والوظائف اللغوية ، والسمات اللغوية والأسلوبية .

وقد حرص هذا الكتاب ، فضلا عن كل ذلك ، على استيضاح موقف التراث اللغوى العربى من البحث فى اللغة المنطوقة ، ومدى وعيه إلى اختلافها عن اللغة المكتوبة فى البنية وطريقة الإنتاج .


Bibliotheca Alexandrina
0498071



